الفصل الخامس

الصهيونية وصراعات القوى السياسية فى إسرائيل فى رواية (الحالة الثالثة) لـ"عاموس عوز"

obeikandi.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحالة الثالثة

تأتى رواية (الحالة الثالثة)(1)، ضـمن الروايات التى تعرضت للصهيونية بالنقد الشديد، وإن كانت أكثر حدة من الروايات الأخرى فى تناولـها للصراع السياسى فى إسرائيل ونقده، حيث تعبر عن التطورات السياسية المختلفة التى يتعرض لـها المجتمع الإسرائيلى خلال فترات وجيزة، مما جعلـه مجتمعاً يفتقر إلى الاستقرار والطبيعية، ويختلف تماماً عن بقية المجتمعات الطبيعية الأخرى فى المجتمع الدولى، حيث تشير هذه الرواية إلى الصراع الدائم بين اليمين واليسار الإسرائيليين فى قيـادة هذا المجتمع، مما يخلق حالة من التناحر الدائم بين هذين المعسكرين حول تولى القيادة، ويخلق أيضاً توجهات عديدة لدى قطاعات عديدة من المجتمع الإسرائيلى، وبخاصة نحو السلام وقضية الصراع حول الأرض والحدود.

إن الحالات السياسية السريعة التى يتعرض لـها المجتمع الإسرائيلي فى ظل قيادة كل من اليمين واليسار، مع اختلاف التوجهات بينهما، يستلزم حلاً أو حالة ثالثة قد تخرجه من مستنقع التشرذم وجدها عوز فى إمكانية خلق حالة من الانسجام أو الامتزاج بين اليمين واليسار من خلال حكومات الوحدة الوطنية، بالرغم من أنها فكرة أو حالة معرضة للفشل فى غالب الأحيان.

وهكذا، فإن " الحالة الثالثة ليست مجرد فكرة سياسية، بقدر ما هى فكرة قومـــية وقد شـــعر " فيما" بطـــل الرواية ـ وهو من اليسـار الإسرائيلى ـ بالحالة الثالثة، عندما جلس جنباً إلى جنب مع " ياعيل" ـ وهى من اليمين الصهيونى ـ دون حركة أو حديث بينهما وقتها شعـــر بالبهجـــة والســـعادة والشـــبع كما لو كان قد حدث بينهما انسجام عميق وعظيم "(2).

ولكن هذه المحاولة تبوء بالفشل بعد أن قرر " "فيما" " فى النهاية، نهاية الرواية أن يبتعد نهائياً عن الحلبة السياسية.

ويمكن القول أيضاً، إن هذه الحالة قد تكون " حالة قومية بريئة من السياسة وبعيدة عن ألعاب اليمين واليسار "(3). فهى تكمن فى (فتح صفحة جديدة)، وهى جملة امتلأت بها صفحات الرواية، فى محاولة من عوز للبحث عن خلاص لمجتمعه.. وهى حالة لكى

---

(1) عاموس عوز: "هامتساف هاشليشى" (الحالة الثالثة)، رواية، دار نشر كيتر، القدس، 1991، (260صفحة)

(2) يوسف أورن: " هاعيط كشوفار بوليطى، عيسر ماسوت عل هارومان هابوليطى باسيبورت هايسرائيليت "، مرجع سابق، (ص36ـ37).

(3) نفس المرجع، (ص37).

تحظـى بها – كما يقول عوز ـ عليك أن " تتجرد من كل رغبة، وأن تقف تحت سماء الليل، بلا عمر، وبلا جنس، وبلا زمن، وبلا شعب وبلا شيء " (الرواية ص 172).

لقد حاول عوز، عبر هذه الرواية، ومن خلال لغز الحالة الثالثة أن يبحث عن مخرج للمجتمع الإسرائيلى وعن خلاص روحانى لـه، بعد أن تشرذم، وأخذ فى الانحلال بفعل صراعات اليمين واليسار، والحروب التى خاضتها إسرائيل مع جيرانها العرب، وتعاليم الصهيونية وأثرها النفسى على الشباب والأطفال الإسرائيليين، والفشل الذريع الذى ينتظر الجيل القادم بعدما يجد نفسه فى مجتمع الانحلال الأخلاقى، وغياب الوريث الصهيونى الذى يسير على الدرب. . وهى أمور تضع الصهيونية فى بؤرة الاتهام بأكاذيبها وأساطيرها وبرامجها التى ابتعدت كثيراً عن الواقع الذى أخفقت فى استقرائه.

قصة الرواية: (عرض مختصر):

تحكى هذه الرواية عن ''فيما'' (أفرايم نيسان)الذى يبلغ من العمر أربعة وخمسين عاماً. وهو شخصية تعيش بمفردها، اعتاد خلال سنوات وحدته على الحديث إلى نفسه. وكانت لـه عدة تجارب عاطفية طوال أيام حياته. كما كانت لديه تطلعات كثيرة وأفكار حول نهاية العالم، ووجهات نظر خاصة وواضحة حول فقدان هوية دولة إسرائيل. ويؤرقه كابوس خاص بإقامة حركة سياسية جديـدة، تفى بمتطلبات الشعب الإسرائيلى. وهو يتطلع أيضاً، من خلال أشواق مثل هذه أو غيرها، إلى فتح صفحة جديدة فى الحياة الإسرائيلية. إنه شخصية تشعر بعدم الاستقرار وتؤرقها ما يحدث فى المجتمع الإسرائيلى، وما يحدث فى الأراضى المحتلة. وهو الأمر الذى يجعلـه يبحث كثيراً مع أصدقائه فى أمور الدولة، ويصل به الأمر إلى أن يكون منهم مجلس وزراء مصغرا ليبحث كل القضايا. ومن خلال هذا المجلس، يصدر مع أصدقائه القرارات الحاسمة التى ستخدم الدولة من وجهة نظره، سواء أكان ذلك بالنسبة للسلام مع العرب أم بالنسبة للأحداث التى تجرى داخل إسرائيل، وبسبب ذلك فهو يحلم دائماً بالاستقرار والـهدوء. وهو مصاب كذلك بالكوابيس التى تجعلـه يستيقظ من نومه وتؤرقه طوال حياته، وهو الأمر الذى جعلـه متشائماً وينظر إلى الحياة نظرة سوداوية، فهو يرى أن البشر يعيش بلا غاية أو هدف. فالناس تقرأ الجرائد وتستمع إلى الأخبار، وتواكب الأحداث، ويقول بعضهم لبعض: (لا يمكن أن يستمر ذلك)، إلا أنهم لا يفعلـون شيـئاً. لقد كـان ''فيما'' ضحية للصراع بين اليمين واليسار الإسرائيليين، بين أبيه اليمينى المتطرف، وأمه اليسارية، التى رحلت عنه وهو صغير؛ فتركته لأبيه "باروخ"، الذى اختار لـه زوجته ''ياعيل'' اليمينية التى تتفق أفكارها مع أفكاره. ولكنه سرعان ما انفصل عنها، ليعيش وحيداً وكئيباً لا يعرف أين يمضى وما

الـهدف من الحياة ؟ . إنها حالـه وصل إليها بفضل اهتماماته السياسية وبما يجرى فى المناطق الفلسطينية المحتلة . ولكنه يستيقظ فقط فى نهاية الرواية من غفوته فيقرر الابتعاد نهائياً عن الشئون السياسية وعما يجرى فى دولته على الرغم من محاولات أصدقائه إثناءه عن ذلك .

اتجاهات نقد الصهيونية فى الرواية :

لم تكن الصهيونية فى منأى عن انتقادات عوز لـها ؛ فقد نظر إليها على أنها المتهم الأول فيما آل إليه المجتمع الإسرائيلى من انهيار وتخبط فى ظل قيادة اليمين الإسرائيلى تارة ، واليسار تارة أخرى . واحتوت عريضة اتهامه على كثير من المحن التى ظلت تؤرق هذا المجتمع ؛ مما أفقدته هويته وهدفه ، حيث تفشى الانحلال الأخلاقى فى ظل تعاليم الصهيونية التى انهارت على مذبحها نفسية الشباب الإسرائيلى ، وجعلته يتشكك ويتخبط فى توجهاته نحو السلام وغيره من القضايا .

لقد ركزت انتقادات عوز للصهيونية على تمسك اليمين الصهيونى المتطرف بها ، ومحاولة فرض برامجها على اليسار بالقوة ؛ مما خلق حالة من التردد والتشكك الدائم لدى قطاع كبير من المجتمع فى جدوى الصهيونية وهدفها ، لاسيما وقد تزايدت إخفاقاتها فى ظل الواقع المعيش يوماً بعد يوم ؛ حتى إن انتصار إسرائيل فى حرب يونيو 1967 واتساع رقعة الأرض التى احتلتها ، لم يكن انتصاراً بقدر ما كان محنة وكابوساً للمجتمع الإسرائيلى ، كما بيّنت تلك الرواية .

ويمكن القول ، إن عوز أكد أيضاً فى هذه الرواية على فشل الصهيونية فى ظل ذلك التخبط الذى يعيشه المجتمع الإسرائيلى فى إعداد وريث لجيل المؤسسين ، متفقاً فى ذلك مع عدد كبير من الأدباء الإسرائيليين ؛ فاحتوت روايته على مفردات عديدة تعبر عن هذا الفشل الصهيونى فى استقراء الواقع الذى زجت فيه جموع اليهود المختلفة مؤكداً على حقيقة تحول الحلم الصهيونى إلى وهم وخداع ، راح ضحيته الكثير من الأطفال والشباب الإسرائيلى الذين لم يدركوا تماماً حقيقة هويتهم وقضيتهم وسط مجتمع اختلف تماماً عن الصورة التى صاغتها الصهيونية قبل قيام الدولة .

ويمكننا أن نعرض هنا لأبرز النقاط التى تناولـها عوز فى معرض نقده للصهيونية :

أولاً : موقف عوز من الصهيونية :

كان موقف عوز من الصهيونية واضحاً من منذ بداية ظهوره على الساحة الأدبية ، فهو ينظر إليها كحركة لتحرير (الإنسان)فقط وليس كحركة لتحرير (الأرض) ، حيث يقول فى كتابه (فى الضوء الأزرق الساطع) : " إننى صهيونى فيما يتعلق بخلاص اليهود ، ولكننى لست كذلك فيما يتعلق بـ(خلاص الأرض المقدسة) . وطبقاً لرأيى ، فإننا جئنا إلى هذه

الأرض لكى نكون أمة حرة، ولم نأت لكى (نحرر هذه الأرض المتألمة والمدنسة من نير الغرباء)... فكلمة (تحرير)تنسحب فقط على البشر وليس على التراب والحجارة. فأنا لم أولد لكى (أطهر أماكن دنسها الغرباء) " (1).

ويرى عوز كذلك أن الصهيونية لـها إخفاقاتها العديدة، فلا يصح أن ينجر اليهود وراءها بكل طاعة وخضوع دون تمييز للخطأ والصواب، حيث يقول: " ليس كل ما هو مستقيم فى عيونهم مستقيما فى عينى، وليس كل ما يفعـلونه أنا مســتعد أن استمر فيه وأفعلـه بخضوع وطاعـة " (2).

وفى إشارة إلى تطرف اليمين الصهيونى فى مواقفه ضد العرب، يقول عوز: "إننى أؤمن بالصهيونية الواضحة التى تتحلى بضبط النفس ... وأنظر إلى عرب فلسطين كعرب فلسطين ... فهم ليسوا مسحوق إنسان ينتظرنا أن نعجنه على هوانا ... إننى أؤمن بالصهيونية التى ترى نفسها كما يراها الآخرون " (3).

ويرفض عوز كذلك شعارات الصهيونية التى روجت لـها وأظهر الواقع أنها مغايرة تماماً ولم تكن على قدر من المسئولية والعقل، فيقول: " إننى أؤمن بالصهيونية التى تعترف سواء بالمعنى الروحى أو بالتجارب السياسية أن هذه الأرض هى وطن لشعبين حكم عليهما أن يعيشا جنباً إلى جنب " (4). وهو يرى كذلك بأن هذه الأرض لم تكــن (أرضا بلا شعب لشعب بلا أرض)، حيث يقول: " إن هذا الشعار أعطى للذين يلوحون به إمكانية لصهيونية بسيطة وسهلة، وأنا لست معهم " (5).

وقد انعكست مواقف عوز المختلفة تجاه الصهيونية فى هذه الرواية. وأمام الواقع المرير الذى زجت فيه الصهيونية جموع اليهود من شتى أنحاء البلاد تحت أوهام الانصهار والازدهار تسائل عوز على لسـان ''فيما'' بطل الرواية عن حالة الصهيونية آنذاك واتهمها بالمرض:

" هل كان المرض يكتنف الفكرة الصهيونية منذ بدايتها ؟ " (6).

وفى سخرية بالغة من شعراء فترة الإحياء القومى، الذين امتلأت قصائدهم بالأشواق والحنين إلى أرض فلسطين، وأسهموا بقدر كبير فى نجاح الفكرة الصهيونية، يتحدث عوز على لسان ''فيما'' واصفاً أشعارهم بالعبث والـهراء:

---

(1) عاموس عوز: " بأور هاتيخيلت هاعازاه " (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق، (ص76).
(2) نفس المرجع، (ص77).
(3) نفس المرجع، (ص87).
(4) نفس المرجع، (ص87).
(5) نفس المرجع، (ص78).
(6) نفس المرجع، (ص80).

" هل تتذكر الشطر المشهور فى قصيدة أمير جلبواع : (فجأة استيقظ إنسان فى الصباح وشعر بأنه شعب وبدأ فى السير ؟ هذا هو بالضبط الـهراء الذى أحدثك عنه " (1).

ويبدو هنا أن عوز يشير إلى قصيدة "يهودا ليف جوردون " الشهيرة (استيقظ يا شعبى)، التى حث فيها جموع اليهود على الاستيقاظ من غفوة الشتات والعيش بين الشعوب، وظل يكرر بيته الشعرى المشهور فى هذه القصيدة (استيقظ يا شعبى، إلى متى النوم)، ويبدو كذلك أن عوز يسخر من تلك القصائد التى دفعت جموع اليهود للـهجرة إلى فلسـطين، ويمضى قائلاً فى سخرية :

" هل حدث لك ذات مرة أنك استيقظت فى الصباح وشعرت فجأة بأنـك شعب؟ ... من الذى لديه القدرة على أن يقوم فى الصباح، ويشعر بأنه شعب ؟ ويبدأ فى السير قدما ؟ " (2).

ولم يكتف عوز بوصفه لـهذه الأبيات بالـهراء، بل إنه يصفها بالقذارة :

" لقد حان الوقت لكى نتوقف عن الشعور بأننا شعب، ولنتوقف عن السير. لقد انهينا هذه القذارة (صوت نادانى . . لكى نسير – فاتجهنا إلى هناك)إذ إن هذا فى الواقع أفكار شبه فاشية. فأنت لست شعباً ولا أنا ولا أحد ... إننا لسنا شعباً. فعلى الأكثر نحن مجرد سبط ... نحن سبط بدائى. قذارة، إننا بالضبط هكذا " (3).

وينتقل عوز على لسان ''فيما'' إلى حاييم نحمان بياليك أشهر شعراء الصهيونية، ويتهمه بالكذب والخداع ولى الحقيقة :

" لقد زعم بياليك، على سبيل المثال، أن النجوم خدعته. وعدته ولم تف بوعدها. حددت لقاء ولم تظهر. أليست الحقيقة هى عكس ذلك: لم تخدعنا النجوم، بل نحن الذين خدعناها؛ وعدنا ولم نف بوعودنا. دعتنا ونسينا أن نجئ إليها، حدثتنا ولم نسمعها " (4).

وفى حقيقة الأمر تنبع سخرية عوز من شعراء القومية اليهودية، من الوضع العام الذى آلت إليه الدولة بعد قيامها، فقد تغنى هؤلاء الشعراء بصهيون وبأرض فلسطين، الأرض التى تدر لبناً وعسلاً، وصدّقت جموع اليهود تلك الكلمات. ولكن سرعان ما انكشفت الحقيقة، وغرقت الدولة فى الصراعات وملأ الخوف والفزع قلوب هؤلاء اليهود منذ عام 1948 وحتى الآن :

---

(1) عاموس عوز : " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، ، (ص144).
(2) نفس المرجع، (ص144).
(3) نفس المرجع، (ص144).
(4) نفس المرجع، (ص189).

" لقد بدأت حياة اليهود كشعب حينما وجد الراحة فى أرضه، ثم اكتشف فى النهاية أن قوى الابداع و التطور مدفونة تحت طبقات عكرة من الخوف والغضب و المذابح و الاضطهادات والإبادة " [1].

وهو ما جعل الدولة كلـها فى تخبط و انكسار :

" إن الدولة بأسرها منكسرة " [2].

وامتلأت قلوب اليهود فى ظل هذا الوضع بالشك و اليأس و التساؤلات عن جدوى الحروب و الصراعات :

" فلنغير من وجه التاريخ، ولننه الحروب. فلنحول، إلى الأفضل، جموع القلوب التى تمتلئ بالشك و اليأس " [3].

ويمكن القول أيضاً، لعل عوز يشير هنا إلى أن الوضع العام الذى تعيشه جموع اليهود فى دولتهم لم يكن بصفة عامة هو الوضع الذى وعدت به الصهيونية قبل قيام الدولة. لقد تشدق هرتسل و جابتونسكى بالراحة و النماء على هذه الأرض، و كانت الحقيقة غير ذلك كما يرى ''فيما'' بطل الرواية، و هو ينظر إلى تماثيل لـهما، حين كان يتجول فى شقة والده اليمينى الصهيونى ليلة وفاته، ليسألـهما فى نهاية الرواية و بسخرية عن حالـهما الآن بعد اكتشاف الحقيقة :

" تحسس بكفه التماثيل البرونزية لكل من هرتسل و جابتونسكى وسألـهما بأدب عن حالـهما هذه الليلة " [4].

وفى نهاية الرواية، رأى ''فيما'' بعد أن قرر ترك الحياة السياسية وصراعات قوى اليمين و اليسار، أنه من الواجب عليه أن يسجل للتاريخ نهاية الحلم الصهيونى، فلم يعد للصهيونية مكان الآن :

" وبعد مرور سنوات معدودة سوف يصبح قادراً أن يسجل بكل وضوح قصة صعود الحلم الصهيونى وأفولـه " [5].

لقد اتضح موقف عوز من الصهيونية بصورة واضحة فى تلك الكلمات التى امتلأت بها صفحات الرواية، والتى لا تكاد تخلو صفحة منها. و هى كلمات تعبر عن حجم الكارثة والشك والخـوف واليأس والغضب وما إلى ذلك. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتى :

---

(1) عاموس عوز : " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص181).
(2) نفس المرجع، (ص124).
(3) نفس المرجع، (ص111).
(4) نفس المرجع، (ص257).
(5) عاموس عوز : " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص226).

كذب	(الرواية ص86، 89، 170، 179، 190، 208،195، 225، 226).
أكاذيب	(الرواية ص 86، 179، 180، 186، 194، 198، 212).
شك	(الرواية ص 73، 111، 141).
شك، وهم	(الرواية 83، 111، 160، 258).
كارثة	(الرواية ص 114، 115، 132، 139، 141، 156،147، 158، 191، 224، 233، 239، 243، 244، 255، 256).
يأس	(الرواية ص 17، 111، 126، 129، 131، 146،145، 147، 153، 177، 186، 195، 197، 203، 233).
عار	(الرواية ص 17، 145، 157).
خطأ	(الرواية ص 85، 124، 126).
ألم	(الرواية ص 116، 130، 198، 234)/ (111، 138).

ثانياً: أثر نتائج حرب 1967 فى الموقف من الصهيونية:

جاءت حرب يونية 1967 التى خاضتها إسرائيل ضد ثلاث دول عربية (مصر - سوريا –الأردن)، و احتلت على أثرها أجزاء عديدة من أراضى هذه البلاد، لتمثل محنة جديدة من المحن التى أثقلت كاهل النفسية الإسرائيلية. فعلى الرغم من الانتصار الكبير الذى حققته العسكرية الإسرائيلية، فإنها أضافت أزمة جديدة، وضعت علامات استفهام كثيرة حول المسألة الصهيونية، لا سيما أنها " شكلت من نواح معينة تغيراً ملموساً فى الموقف من العرب الفلسطينيين، لم يكن ملموساً من قبل، لدى قطاع من قطاعات المجتمع الإسرائيلي "(1).

" لقد تمخضت حرب يونية 1967 عن عدة اتجاهات طفت على سطح الحياة السياسية فى إسرائيل، تجاه ما أسفرت عنه هذه الحروب من نتائج التوسع الإقليمي الإسرائيلى باحتلال أراض عربية تبلغ مساحتها أكثر من ثلاثة أضعاف حجم دولة إسرائيل، عبر كل من مصر وسوريا و الأردن ... كان منها اتجاه رفض مبدأ احتلال أراضى الغير بالقوة، ورفض الاعتراف بأن هذه المناطق هى جزء من (أرض إسرائيل الكبرى)، أو أنها يمكن أن تشكل ورقة للمساومة من أجل السلام، واعتبر أن إسرائيل تحولت إلى دولة احتلال استعمارية بما يتناقض مع أخلاقيات الصهيونية المثالية "(2).

(1) د. رشاد عبدالله الشامى: عجز النصر، مرجع سابق، (ص 137).
(2) د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص 179،180).

وقد عبر عوز فى الرواية عن هذه الورطة النفسية فى الوقت الذى أصبح فيه عدد كبير من العرب تحت السيطرة الإسرائيلية مما خلق حالة من الخوف والفزع أحياناً من بطش الواقعين تحت نير الاحتلال، وحالـه من الشعور بالـهزيمة لا بالانتصار أحياناً أخرى. وهو ما عبر عنه ''فيما'' بطل الرواية بقولـه:

" لقد كان الوضع القومى قبل الانتصار فى حرب 1967، أقل خطورة ودماراً مما هو عليه اليوم " [1].

ولم تكن نتيجة هذه الحرب انتصاراً بقدر ما كانت هزيمة واندفاعا نحـو الـهلاك والانحلال، فالاستعمار واحتلال أراض الغير بالقوة لن يجلب معه إلا حالة من القلق الدائم والخوف، وهو نتيجة طبيعية لجنون احتلال أراضى الغير، ووضع يجعل الانتصار فى هذه الحرب هزيمة مروعة:

" إن كل أجهزة الدولة تنهار، ولا يوجد من يعبأ بهذا. وهذه نتيجة مباشرة لحالة الجـنون بالمناطق المحتلة التى سيطرت علينا. فالحقيقة السـاخرة تقول، إن أى مؤرخ سوف يسجل فى المستقبل ذات يوم أن عبد الناصر، قد هزمنا فى حرب يونيو 1967 " [2].

إن انتصار إسرائيل فى هذه الحرب بالرغم من كل شىء، كما يرى ''فيما'' ، هو قدر أسود و اندفاع نحو الخراب، وضع إسرائيل فى حالة لا مخرج منها، ووضع الصهيونية فى دائرة الاتهام:

" إن انتصارنا هذا قد دفع بقدرنا إلى الخراب. والمارد المسيحانى الذى نجحت الصهيونية فى إدخالـه إلى القمقم، اندفع خارجها لدى النفخ فى البوق فى ساحة البراق " [3].

وفى ظل هذا المناخ العام من الإحساس بالنصر فى هذه الحرب لدى العسكريين الإســرائيليين، استغل اليهود الدينيون الفرصة، وأرجعوا هذا الانتصار إلى العناية الإلـهية. " وهو تحول تجلت بدايته فى تلك الموجة العارمة التى اجتاحت إسرائيل بأسرها، العلمانيين والدينيين على حد السواء، وأضفت على انتصار إسرائيل مغزى دينياً روحياً، مفسرة الانتصار على أنه معجزة إلـهية تمت بمساعدة الرب " [□]، مما جعلـهم يستقطبون عدداً كبيراً من اليهود العلمانيين، وهو ما جعل ''فيما'' يتساءل، فى ظل ذلك، عن حقيقة الـهوية الإسرائيلية:

(□) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص30).
(□) نفس المرجع، (ص150).
(□) نفس المرجع، (ص150).
(□)د. رشاد عبداللـه الشامى: إشكالية الـهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص 181).

" وبكلمات معدودة ومباشرة أطلعهم "فيما" على ضرورة الاختيار ما بين المناطق التى احتلتها إسرائيل فى حرب 1967 و بين هويتنا بذاتها " [1].

لقد تمخضت حرب 1967 عن عنف وقتل ودمار بين الجانبين، وتساءل بعض المحللين عن الانحلال الأخلاقى للصهيونية فى ظل هذا العنف المتبادل الذى خلّفته هذه الحرب بعد انتهائها، مما أفقد الجميع الشعور بالأمان وجعل "فيما" يتهم الانتصار فى هذه الحرب والتمسك بالمناطق بأنهما سبب رئيسى فى الشعور بهذا الافتقاد، وهو وضع وصفه بالبلاهة والطيش:

" إن البلادة والعنف والشر تتدفق ذهاباً وإياباً من الدولة إلى المناطق المحتلة ومن المناطق المحتلة إلى الدولة، والنتيجة سوف تكون مدمرة " [2].

وهكذا، صارت مشاهد القتل والدمار التى تركتها هذه الحرب صورة يومية تعبر عن الانحلال الأخلاقى فى مقتل طفل عربى أصابه الجنود الإسرائيليون بطلق نارى فى رأسه، وتعبر عن الوحشية تجاه الفلسطينيين وانتشار بهيمية العسكرية الإسرائيلية فى كل مكان:

" وأنت يا سيدى رئيس الوزراء ؟ ماذا فعلت فى حياتك ؟ ماذا فعلت اليوم؟ وأمس ؟ ... ماذا فعلت بالضبط عندما سمعت فى الراديو عن مقتل طفل عربى فى غزة من جراء طلقة نارية فى رأسه ؟ " [3].

" فى الثانية عشرة، سمع "فيما" فى نشرة الأخبار نبأ عن مقتل صبى عربى فى الصباح من جراء قذيفة بلاستيكية، أطلقت على ما يبـــدو من بنـدقية جندى بمعسـكر جباليا للاجئين " [4].

" وفى أقل من نصف ساعة أعد "فيما" مقالاً قصيراً لصحيفة يوم الجمعة عن العلاقة الوطيدة بين تدهور الوضع فى المناطق المحتلة، وبين البلادة العامة الآخذة فى الانتشار لدينا فى كل مجالات الحياة " [5].

لقد خلق هذا الوضع المتدهور، فى ظل اتساع رقعة الأرض التى احتلتها إسرائيل فى هذه الحرب، حالة من رد الفعل المضاد لدى الفلسطينيين؛ مما أسفر عن انتشار أعمال المقاومة التى يقوم بها الشباب الفلسطينيون. " فقد دفع صبى عربى حياته ثمناً لمحاولة إحراق عربة جيب إسرائيلية، أضرمت فيها النيران، فتجمع عدد كبير من العرب حولـها،

---

(1) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص30).
(2) نفس المرجع، (ص130).
(3) نفس المرجع، (ص92).
(4) نفس المرجع، (ص17).
(5) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص129ـ130).

ومنعوا الإسعاف من الوصـول إليـها، وتقديم الإسعافات الأولية للصبى؛ لأنهم ظنوا أن هذا الصبى هو جندى إسرائيلى " (□) .

وهكذا، خلق هذا الوضع الجديد حالة من الكراهية والعنف بين صفوف الجانبين. وأثر هذا الاحتلال فى نفسية الكثيرين من الإسرائيليين ورفض بعض العسكريين الإسرائيليين الخدمة فى المناطق المحتلة (•)، رفضاً للأعمال الوحشية والقتل التى تنتهجها العسكرية الإسرائيلية ضد المدنيين:

" خمسة آلاف رجل، خمسة آلاف منا يرفضون بكل بساطة العمل كاحتياط فى المناطق المحتلة وهذا يكفى " (2) .

كما رسم عوز لـهؤلاء المهاجرين اليهود إبان قيام دولة إسرائيل. لقد ظن هؤلاء المهاجرون اليهود أن دولتهم سوف تقام بطرق المصالحة المختلفة، وأن هذه الأرض سوف تستقبلـهم بكل فخر وترحاب، وسوف يعيشون حياة جديدة أكثر أمناً واستقراراً. ولكنهم فوجئوا بالواقع المرير، فهم يعيشون وسط الدبابات والمدافع وتبادل إطلاق النيران:

" إن الدبابات تحيط بمبنى الكنيست، والمظليون يخترقون محطة البث الإذاعى ... لا ينبغى أن يحدث هذا هنا " (3) .

إن هذا الموقف الواضح من حرب يونية 1967، وما ترتب عليها من أوضاع تجاه الموقف من الصهيونية، يطرحه عوز كسؤال فى محاولة للإجابة عليه فى كتابه (فى الضوء الأزرق الساطع)؛ فقد طرح سؤالاً حول ما يسميه " الثورة اليهودية "، وهل انتهت بإقامة الدولة ؟ والجيش ؟ فى إشارة إلى الانحلال الأخلاقى الذى انتهجته الدولة؛ لتخلق صورة مطابقة للجيتو اليهودى داخل دولة إسرائيل بالإضافة إلى حالة من الرعب والفزع، إذ يقول: " إذا كانت الإجابة، أننا أثمنا أنفسنا حيث الراحة والميراث ... فقد خرجنا من أوكرانيا ومدن جاليسيا والضواحى الفقيرة لبولندا وسهول رومانيا ومراكش وبغداد، وجئنا

(□) نفس المرجع، (ص230ـ231).

(•) تجدر الإشارة إلى أن رفض الخدمة العسكرية من أهم آثار الانتفاضة الفلسطينية. إنها ظاهرة جديدة وقديمة فى المجتمع الإسرائيلى، قديمة من حيث أن التجمع الصهيونى عرفها من قبل عدة مرات، كان آخرها أثناء احتلال جنوب لبنان، وهى جديدة من حيث إنها ظهرت مرة أخرى استجابة لتصاعد المقاومة الفلسطينية منذ أن بدأت انتفاضة الأقصى، ففى 30 يناير 2002 أصدرت مجموعة من 50 ضابطاً وجندياً من الاحتياط بياناً جاء فيه: أنهم يرفضون الخدمة فى المناطق الفلسطينية المحتلة، وأنهم لن يشتركوا فيما يسمونه حرب سلامة المستوطنات، وانهم لن يواصلوا القتل بهدف السيطرة والطرد والـهدم والإغلاق والتصفية والتجويع والإهانة لشعب بأكملـه.

(□)عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص83).

(□) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص82).

إلى هنا لإقامة صورة مطابقة وتافهة لتلك الأماكن مع دائرة من الدبابات حولنا. وعلاوة على ذلك فقد أرعبنا أنفسنا وأرعبنا تاريخ هذا القرن وقتلنا ووضعنا هذا العالم على حافة الحرب " (1).

ويمضى عوز، فى هذه الرواية، واصفاً تداعيات هذه الحرب على المستوى النفسى، حيث كانت لـهذه الحرب أيضاً أثارها النفسية على المجتمع الإسرائيلى، " فمنذ حرب 1967 ولم يعرف ''فيما'' طعماً للراحة؛ فقد كان طريقه قبل هذه الحرب واضحاً، كان طـالباً فى الجامعة، وشاعراً، ورب منزل ... ولكن هذه الحرب حوّلته إلى شخصية عصابية، لا فرق بينه وبين أبطال أبراهام يهوشواع العصابيين ... فعلى الرغم من انفصالـه عن زوجته، فهو يعود ويقترح على ''ياعيل'' مطلقتـه أن يعود إليها ويعيش معها. ومثلما حدث مع مولخو فقد حاول ''فيما''- دون أن ينجـح ـ أن ينســى آلامه وفزعه فى أحضان الكثير من النساء " (2). وحاول عبثاً أن يضع حداً للكوابيس الكثيرة التى كانت تهاجمه كل ليلة. فكان يحلم بكوابيس سياسية يبحث فيها عن الكلمة الصائبة، وعن الحل الأمثل فى خضم حواراته مع سائقى التاكسيات ونادلى المطاعم التى يرتادها. وفى ذروة يأسه كان يشكل مجلس وزراء مصغرا من أصدقائه؛ ليتشاور معهم حول كيفية إنهاء هذا الوضع المتأزم بعد حرب 1967 :

" ليس المقصود هو الوضع فى المناطق بل الوضع فى الدولة، داخل الخط الأخضر بالذات. فى المجتمع الإسرائيلى " (3).

وعلى مدار الرواية، وفى ظل هذا الوضع السياسى و النفسى السيئ، ظل ''فيما'' يفكر فى مغزى الحياة و هدفها، وينظر إليها نظرة تشاؤمية :

" إن السؤال الحقيقى فعلاً هو: ما مردود الثمن. أى ما معنى الحياة، و ما غايتها؟ " (4).

إنه يرى أن الإنسان يسير بلا هدف :

" إن الإنسان يا عزيزى برودكس مخلوق غريب جداً، فريد فى غرابته، يضحك حين ينبغى أن يبكى، ويبكى حين ينبغى أن يضحك. يعيش بلا عقل، و يموت بلا رغبة " (5).

---

(1) نفس المرجع، (ص149).
(2) يوسف أورن: " هاعيط كشوفار بوليطى، عيسر ماسوت عل هارومان هابوليطى باسيبورت هايسرائيليت "، مرجع سابق، (ص35ـ36).
(3) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص43).
(4) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق (ص96).
(5) نفس المرجع، (ص63).

وفى مقابل كل هذا كان " فيما " مستعداً أن يرهن كل ميراثه فى مقابل يوم واحد من الراحة النفسية :

" فى حوالى الثالثة ليلاً، كان أفرايم على استعداد لأن يرهن على الفور كل ميراثه فى مقابل يوم واحد أو ساعة من الحرية الداخلية الكاملة مع المشاعر العائلية " [1] .

وفى حقيقة الأمر، لم تكن لـهذه الحرب أثارها النفسية فقط على المجتمع الإسرائيلى، " فقد كان هذا الانتصار سبباً فى تعاسة هذه الدولة كما يرى "فيما" [2]، فعندما عرض عليه مجموعة من العمال العرب تحديث شقته، صرخ ''فيما '' ساخراً من الحلم الصهيونى :

" فى كل أنحاء هذه الدولة البائسة لم يتبق عامل بناء يهودى واحد. ولا حتى سباك أو بستانى. هذا ما جنته مناطقكم من الحلم الصهيونى. فالعرب هم الذين يبنون لنا البلاد ومع ذلك نقتلـهم يومياً، هم و أبناءهم " [3] .

وهكذا، لم تكن لحرب يونيو1967 أثارها السياسية والنفسية فقط على المجتمع الإسـرائيلى، " بل فتحت نتائج هذه الحرب من جديد، وربما بشدة أكثر، جروحاً قديمة كانت تبدو وكأنها اندملت خلال تسعة عشر عاماً من الاستقرار داخل الـخـــط الأخضر (1948 – 1967)، فبرزت من جديد مسألة نظام الأولويات فى أهداف الصهيونية. ماذا أولاً ؟ دولة يهودية داخل فلسطين المحتلة، أم دولة تكون حدودها متماثلة مع حدود (أرض إسرائيل)؟ وهل تكون المناطق المحتلة ورقة للمساومة من أجل السلام، أم تكون ضمانة من أجل الأمن ؟ وأثيرت مسـألة الاستيطان، حجمه، وتوقيته وطبيعة معاملة السكان العرب فى المناطق المحتلة: ضم يؤدى إلى التغيير الديموجرافى أم طرد و ترحيل ؟ ... الخ " [4]، وهى الأسئلة التى طرحتها هذه الحرب وأثرت تأثيراً سلبياً فى الموقف من الصهيونية. .

ثالثا : موقف اليمين و اليسار من السلام :

تقسم الخريطة الحزبية السياسية فى إسرائيل إلى عدة تقسيمات، أهمها التقسيم الشائع الذى يقسم هذه الأحزاب الإسرائيلية المختلفة إلى معسكرين مختلفين، هما اليمين واليسار. وترجع هذه التقسيمات إلى اختلاف النشأة التاريخية والفكرية والعقائدية ولتباين الاتجاهات السياسية والبرامج العملية لتلك الأحزاب. وتدور المواقف السياسية فى إسرائيل تجاه العرب والفلسطينيين، بصفة عامة، فى فلك هذين المعسكرين الرئيسين، حيث يتسم

([1]) نفس المرجع، (ص258).

([2]) يوسف أورن: " هاعيط كشوفار بوليطى، عيسر ماسوت عل هارومان هابوليطى باسيبورت هايسرائيليت "، مرجع سابق، (ص31).

([3]) نفس المرجع(ص147).

([4]) د. رشاد عبدالله الشامى : إشكالية الـهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص 181).

موقف اليمين الإسرائيلى فى الصراع بأنه الموقف القومى المتطرف الذى لا يرى للصراع العربى الإسرائيلي نهاية، بينما يبدو الموقف اليسارى الإسرائيلي بأنه الموقف اللين المتسامح الداعى للسلام والحل الوسط.

ودائماً ما تخضع الخريطة السياسية فى إسرائيل ومنذ ما قبل قيام الدولة إلى صراع دائم على السلطة بين حزبين كبيرين هما المعراخ • (العمل)كممثل لليسار الإسرائيلى، والليكود كممثل للتكتل اليمينى الإسرائيلى، حيث " ظلت الصهيونية الاشتراكية هى القائدة والمهيمنة على المؤسسات الصهيونية قبل قيام الدولة، واستمر حزب (المباى)، و بعد ذلك (حركة العمل الإسرائيلية)فى حكم إسرائيل منذ عام 1948 و حتى عام 1977، ليحدث (الانقلاب)الذى أحدث تغيرا جذريا فى الحياة السياسية فى إسرائيل، من نظام الحزب الواحد إلى الصراع بين حزبين كبيرين همل (العمل)و (الليكود). وقد أحدث صعود (الليكود)كممثل لمفاهيم الصهيونية الجابوتنسكية، انقلاباً حقيقياً فى العديد من المـفاهيم السيـاسية و الثقـافية و اليهودية التى كانت سائدة حتى عام 1977 " (□).

ومنذ ذلك الحين، تشهد الانتخابات الإسرائيلية صراعاً حاداً بين هذين الحزبين؛ حيث يحاول كل منهما استمالة الشعب الإسرائيلي نحوه، وغالباً ما يلعب الصراع العربى الإسرائيلى دوراً فاعلاً فى حسم هذه الانتخابات، من خلال البرامج الحزبية التى يضعها كل حزب لحل هذا الصراع، وأسلوب الاتجاه نحو السلام والأمن الإسرائيليين.

وعلى سبيل المثال، ضم الكنيست الإسرائيلى الخامس عشر (مايو 2001 – مايو 2004)، بعد فوز آرئيل شارون كممثل لليمين الإسرائيلى فى الانتخابات برئاسة الحكومة، مائة وعشرين مقعداً، تم تقسيمهم بين معسكر اليمين الإسرائيلى وضم أحزاب (ليكود – شاس – الاتحاد القومى – إسرائيل بيتنا – المفدال – يهودية التوراة – يسرائيل بعلياه ـشعب واحد)ومعسكر اليسار وضم أحزاب (العمل – إسرائيل واحدة – جيشر – ميرتس – شينوى – القائمة العربية – حداش – بلد)، بالإضافة إلى أحزاب الوسط العلمانى.

(•) المعراخ: تعد الأحزاب العمالية من أكبر الأحزاب التى حكمت إسرائيل، بدءاً من " بن جوريون " ونهـاية بـ " إسحاق رابين ". ويمثـل حزب المابای (حزب عمال أرض إسرائيل)، و " أحدوت هاعغودا " (اتحاد العمال)، و " رافي " (قائمة العمال الإسرائيلية) الدعائم الأسـاسية للأحزاب العمالية فى إسرائيل، وقد تجمعت الأحزاب الثلاثة الأولى فى عام (1968) مكونة (حزب عمال إسرائيل) وفى 20/ 1/ 1969 انضم " المابام " إلى هذا الحزب مكونين ما تعارف عليه حتى الآن باسم " المعراخ " أى (التجمع العمالى). (انظر: تطور الأحزاب والحركات السياسية فى إسرائيل، الـهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، 1984، ص7).

(□) د. رشاد عبداللـه الشامى: إشكالية الـهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص 17).

وتنبثق رؤية اليسار الإسرائيلى للسلام وللصراع العربى الإسرائيلى، بصفة عامة، من أن السلام هو قيمة حقيقية للحياة فى إسرائيل. ويرتكز صنع السلام من وجهة نظر اليسار الإسرائيلى إلى قوة الجيش الإسرائيلى، والقوة العامة لدولة إسرائيل، والقدرات الردعية للدولة والرغبة فى إحلال الاستقرار فى الشرق الأوسط. ويرى اليسـار الإسرائيلى أن معاهدات السلام التى ستكون إسرائيل طرفاً فيها، يجب أن ترتكز إلى الحفاظ على أمن إسرائيل ومصالحها أولا، وهى مهمة الجيش الإسرائيلي الذى يمكن لـه أن يتصدى لأية محاولة من جانب الفلسطينيين. إن التسوية السلمية من وجهة نظر اليسار لابد أن تضع فى اعتبارها المصالح الحيوية لإسرائيل.

وبشأن قيام دولة فلسطينية، يرفض اليسار قيامها من جانب واحد، وقبل توقيع الاتفاق النهائى، بمعنى أن قيام دولة فلسطينية يستلزم أولا التأكد من أن القيود الأمنية والسياسية المتفق عليها تعكس ذلك، وإن كانت إسرائيل تحبذ كونفدرالية فلسطينية أردنية، كما يرى اليسار الإسرائيلى.

وهكذا تنطلق رؤية اليسار الإسرائيلي للسلام من أهمية الحفاظ أولا وقبل كل شىء على أمن إسرائيل، وهى رؤية تجتنبها بعض الأمور التى قد لا تحل المشكلة، وبخاصة أن اليسار ينظر إلى القدس على أنها عاصمة أبدية لإسرائيل، وسـتبقى موحدة وكاملة تحت سيادة إسرائيل.

وتختلف رؤية اليمين الإسرائيلى للسلام والصراع العربى الإسرائيلى بعض الشيء، لاسيما أنها تتسم بالشدة والتطرف أحيانا، فاليمين الإسرائيلي ينظر إلى إسرائيل على أنها " دولة يهـودية صهيونية وديمقراطية. والصهيونية هى حركة التحرير الخاصة بالشعب اليهودى، ويجب أن يوضع تحقيقها فى رأس سلم الحكومة الإسرائيلية. وتشكل دولة إسرائيل وسيلة لتحقيق أهداف الصهيونية، وهناك ضرورة لأن تعمل الحكومة بإخلاص من أجل تحقيق أهداف الصهيونية، من خـلال زيادة الـهجرة والاستيطان وبناء البلد وتطـويره عبر هذا الاستيطان. ويرى اليمين الإســرائيلي ضـرورة ارتباط يهود الشتات بدولـة إسرائيل وبتراث إسرائيل " (□).

وترتكز أسس السلام لدى اليمين الإسرائيلي إلى أن السلام هدف حيوى أيضاً يمكن أن يتحقق عبر بوابة الاتفاقيات السلمية مع الجيران العرب، ولكن قبل تحقيقه لابد أن تتوقف أعمال المقاومة الفلسطينية ضد الشعب الإسرائيلى، وبخاصة خلال فترة المفاوضات. وقبل تحقق هذا السلام لابد من وقف التحريض ضد إسرائيل فى وسائل الإعلام الفلسطينية وفى

(□) انظر: ملف الانتخابات الإسرائيلية، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد 39، 1999، (ص104).

جهازها التعليمى، وجمع الأسلحة غير المشروعة الموجودة لدى السكان الفلسطينيين. ويرى اليمين الإسرائيلى الصهيونى أن عملية الدمقرطة المتدرجة للسلطة الفلسطينية وللدول العربية عنصر مهم من أدوات بناء الثقة قبل المضى فى عملية السلام (•). كما أن المفاوضات مع السلطة الفلسطينية، من وجهة نظر اليمين الإسرائيلي، لابد أن تضع المصالح الحيوية لدولة إسرائيل فوق كل اعتبار. ويرى اليمين الإسرائيلى أن الاستيطان تعبير واضح عن حق شعب إسرائيل غير القابل للنقض فى أرض إسرائيل، فلابد من تطويره وزيادته كعنصر مهم للدفاع عن المصالح الحيوية لدولة إسرائيل.

ويرفـض اليمين الإسرائيلي إقامة دولة عربية فلسـطينية غربى نهر الأردن رفضاً مطلقاً، ويرى أن الفلسطينيين يمكنهم أن يديروا شئونهم فى إطار حكم ذاتى، لا فى إطار دولة مستقلة ذات سيادة.

أما القدس، بالنسبة لليمين الإسرائيلى، فهى عاصمة موحدة لإسرائيل وحدها، وهناك رفض مطلق لأية محاولات لتقسيمها.

وعلى هذا الأساس، تباينت أوجه الخلاف بين قوى اليمين الصهيونى الذى يمثلـه حزب (الليكود)، واليسار الإسرائيلى الذى يمثلـه حزب (العمل)فيما يتعلق بقضية الصراع العربى الإسرائيلى، والتوجهات نحو السلام، ومسألة الأرض. وتأرجحت الاتجاهات بين المعسكرين حول هذه القضايا فيما يشكل صراعاً بينهما أخذ يشتد مع صعود اليمين للحكم. وظهر على الساحة السياسية فى خضم الصراعات الداخلية الإسرائيلية اتجاهان يعبران عن الصراع بين هذين المعسكرين و توجهاتهما نحو السلام

(أ) " اتجاه تتبناه القوى اليمينية الصهيونية وعلى رأسها (الليكود)يقضى بضم الأراضى الفلسطينية المحتلة إلى إسرائيل، ومنح الفلسطينيين حكماً ذاتياً محدوداً، فى المسائل المتعلقة بالتعليم والأحوال الشخصية والقضاء والصحة وغيرها من المجالات، مع الإبقاء على السيطرة الأمنية و توسيع المستوطنات " (□).

(ب) " اتجاه تتبناه قوى اليسـار فى إسرائيل، ويقضى بتنفيذ مبدأ (الأرض مقابل السلام)مع بعض الترتيبات الأمنية التى تضمن أمن إسرائيل، وعدم تعرضها لـهجوم مباغت من إحدى الدول العربية " (□).

(•) ربما تذكرنا هذه النقطة بشروط شارون زعيم الليكود والتكتل اليمينى المتطرف التعسفية بعد توليه رئاسة الحكومة الإسرائيلية فى مايو 2001؛ حيث طالب بتغيرات جذرية فى السلطة الفلسطينية قبل المضى فى المفاوضات مع الفلسطينيين، وطالب أيضاً بتنحية الرئيس الفلسطينى المنتخب عن السلطة كشرط لتحقيق السلام.

(□) د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الـهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص 18).

(□) نفس المرجع، (ص 18، 19).

وبعيداً عن أن هذين الاتجاهين لا يعبران عن الطموح العربى الفلسطينى؛ على اعتبار أنهما يضعان الأولوية الإسرائيلية فى المقام الأول، و بعيداً عن اتجاه معسكر اليسار الذى يتصف بالسلبية فى صراعه مع اليمين بشأن الصراع العربى الإسرائيلى أحياناً، و فى تردده نحو قيام دولة فلســطينية، يشترط أن تكون منزوعة السلاح لاعتبارات أمن إسرائيل أحياناً أخرى، يمكن القول، إن هذين المعسكرين حتى وإن اختلفت أو تباينت وجهات نظرهما بشأن الصراع حول الأرض والسلام، يدوران مع عملية السلام فى حلقة مفرغة ماداما يضعان مصالح دولة إسرائيل فقط فى الاعتبار دون الطرف الآخر، وهو ما حدث بالضبط بعد أن اندلعت انتفاضة الأقصى فى أعقاب زيارة شارون للمسجد الأقصى فى سبتمبر عام 2000، بعدها عادت عملية السلام إلى الصفر وبدأ الدوران فى الحلقة المفرغة يعود من جديد، حيث ازدادت عمليات المقاومة الفلسطينية داخل إسرائيل، وفشلت كل المحاولات الأمنية الإسرائيلية، وتكبدت إسرائيل خسائر بشرية ومالية فادحة، ربما لم تتعرض لـها من قبل، وربما أثبت ذلك أيضا أن هناك ضرورة ملحة فى أن يعيد اليمين واليسار معاً النظر فى رؤيتهما للسلام التى ترتكز إلى المصالح الإسرائيلية فقط.

ويمكن القول أيضاً، إن الصهيونية خلقت بقصد أو بغير وعى تاريخي كامل، الوجه الآخر للمشروع الصهيونى وهو الحق العربى للفلسطينيين فى أرضهم، وفى دولة خاصة بهم. وإذا كانت إسرائيل قد تصورت أنها نجحت بطريق أو بآخر اعتباراً من حقبة الستينيات، وبالتحديد بعد نشوب حرب 67 وما ترتب عليها، فى نزع فتيل الصراع العربى الإسرائيلى، فينتهى الأمر بعد حرب 73 إلى عقد معاهدة سلام مع مصر فى عام 1979 لتسترد مصر سيناء بأكملـها، ثم عقد معاهدة سلام مع الأردن 1994 فتخرج بذلك أكبر دولة فى العالم العربى وهى مصر من حلبة الصراع ثم الأردن، ليتحول الصراع بعد ذلك إلى صراع فلسطينى إسرائيلى، إذا كانت إسرائيل قد تصورت أنها نجحت فى هذا، فإنه لا يمكن لأحد أن يدعى أن انحصار الصراع فى هذا الإطار قد وضع حداً لمشاكل إسرائيل، وأنها قد وجدت حلاً سحرياً لإشكاليتها؛ بانفرادها بالشعب الفلسطينى الذى ناضل وسيناضل من أجل تحقيق حلمه هو الآخر فى إقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشريف، مهما بلغت ضراوة إسرائيل فى تعاملـها معه ومهما كان حجم التضحيات التى سيدفعها ثمنا لذلك. ويبقى هذا الأمر محلاً لاختبار رؤية اليمين الصهيونى المتطرف الذى أعاد طرح شعارات الصهيونية من جديد محاولاً فرض رؤيته على الشعب الفلسطينى مدعياً أن الضفة الغربية هى جزء عضوى من أرض إسرائيل المدعاة، وهى معضلة ستجيب عنها كلمة التاريخ ربما فى المستقبل القريب أو البعيد، عندما يكتشف دعاة اليمين الصهيونى المتطرف أنهم بالفعل معادون للتاريخ، ولا يستفيدون من عبر الماضى.

وقد عبر عوز فى هذه الرواية، وهو ينتمى إلى معسكر اليسار باعتباره أحد أعضاء حـركة (السلام الآن [●])، عن هاتين الرؤيتين للسلام، موضحاً تعنت اليمين الصهيونى وتأثير ذلك فى المجتمع الإسرائيلى، وواضعًا الصهيونية كذلك فى بؤرة الاتهام والتسبب فى هذا الصراع الدائم.

" إن الشخصيات التى تتراءى أمامنا فى الرواية تجعلنا ننظر إليها على أنها رواية سياسية. فيمكننا أن نقسم هذه الرواية إلى معسـكرين متخاصمـين: معسكر اليسار ويمثلـه "فيما" وأمه وأصدقاؤه ... ومعسكر اليمين الصهيونى ويمثلـه أبوه ومطلقته "ياعيل" وزوجها "تيد" " [□].

" فأبوه، "باروخ نومبـــرج"، من قدامى حـــركة "حيروت" (الرواية ص 28)يكمن موقفه السياسى فى حرصه على أن تظل أدوات المأكل والأثاث فى المنزل على النحو الذى كانت عليه بين يهود وسط أوروبا ... لقد كان هناك صراع دائم بين الأم والأب حول أسلوب تربية وتعاليم "فيما" ؛ لذا فقد صار بينهما صمت يشوبه التوتر. فالأم ظلت حتى موتها تحاول أن تبعد "فيما" عن تأثير الأب، و بعد موتها ألقـــى الأب بأمتعتها وملابسها خارج البيت، (لقد محا أية ذكرى لـها)، وحاول بكل جهده أن يعدّل من تعاليمها اليسارية لـ "فيما" من خلال السعى لتلقينه تعاليم متزمتة وعنيفة " [□].

ويمثل التعارض بين الأم والأب، تعارضاً رئيسياً بين اليمين و اليسار، فعلى الرغم من موت الأم – أم ‘‘فيما’’ – وهو فى سن العاشرة تقريباً، وتولى الأب ‘‘باروخ’’ المسئولية من بعدها فى تربية ‘‘فيما’’، فلم ينجح ‘‘باروخ’’ فى التأثير فى ابنه بتلك التعاليم الصهيونية المتطرفة، حيث اختار لـه زوجته ‘‘ياعيل’’ اليمينية المتطرفة ولكن سرعان ما انفصل الاثنان لعدم تقاربهما فى الأفكار ووجهات النظر، وهو انفصال يعبر عن فشل الأب فى إكساب ابنه رؤى الصهيونية المتطرفة، فأفكارها السياسية تتفق معه وليس مع ابنه؛ وقد التقت بعد انفصالـها بمن يتفق معها ومع ‘‘باروخ’’ وتزوجت من ‘‘تيد’’ الأمريكى الأصل، وسافرت معه فى مهمة سرية إلى أمريكا، لتطوير آلة حربية إسـرائيلية،

(●) السلام الآن: تعد هذه الحركة هى حركة ذات طابع صهيونى ليبرالى معتدل، وتعد امتداداً لحركة السلام الإسرائيلية بعد حرب (1967)، وتضم فى صفوفها العديد من أبرز رموز الثقافة والفكر فى إسرائيل، وشخصيات متنوعة تضم أساتذة جامعات، وأدباء مشهورين، ورجال أعمال، وقادة سابقين فى جيش الدفاع الإسرائيلى، وشخصيات عامة قيادية من بينهم وزراء سابقون فى الحكومات الإسرائيلية، والآلاف من المتعاطفين مع الحركة وأهدافها.

(□)يوسف أورن: " هاعيط كشوفار بوليطى، عيسر ماسوت عل هارومان هابوليطى باسيبورت هايسرائيليت "، مرجع سابق، (ص28).

(□) يوسف أورن: " هاعيط كشوفار بوليطى، عيسر ماسوت عل هارومان هابوليطى باسيبورت هايسرائيليت "، مرجع سابق، (ص29).

Obeikandl.com

بعـد أن تبنى "باروخ" مشروع تمويل هذه الآلة باعتباره مشروعاً ذا أهـمية قومـية، قامت به "ياعيل" في إحدى القواعد السرية للجيش الإسرائيلي، واستلزم الأمر بعد ذلك ضرورة سفرها إلى أمريكا من أجل إكمالـه.

وعلى ضوء تلك الصراعات بين اليمين واليسار الصهيونيين، أبرز عوز في هذه الرواية الرؤى المختلفة للتوجهات نحو السلام بين اليمين واليسار عبر شخصيات عديدة التقى بها " فيما" وتحاور معها بشأن الأرض والسلام، ليعبر لنا في النهاية عن شرائح مختلفة تمثل قوى سياسية عديدة تتأرجح، أحياناً، في التقدم نحو للسلام، وترفضه تماماً في أحيان أخرى، فهو حائر ما بين الخضوع للواقع، والاتجاه نحو السلام، و بين التخلي عن مبادئ الصهيونية.

ويصل بنا عوز في النهاية إلى غلبة تأثير الصهيونية السلبي على الشعب الإسرائيلي، وهو التأثير الذي أوقع بطل الرواية في حيرة ما بين الخضوع للواقع والاتجاه نحو السلام، وبين التخلي عن مبادئ الصهيـونية التي " لجأت إلى كل الوسائل غير الأخلاقية والبعيدة عن الشرعية للحصول على الأرض ... وتفريغ فلسطين بالكامل من سكانها الفلسطينيين عن طريق الطرد، ونزع الملكيات، وهدم المنازل وترويع المواطنين، ودفعهم إلى ترك أرضهم " [1].

وهذه الحيرة تلقي الضوء على التنازع المزدوج في النفس اليهـودية، " فبالرغم من نزوع الشخصية اليهودية الإسرائيلية نحو السلام أحياناً كرد فعل لفظائع الحروب، ورغبة في الحياة الـهادئة بلا تهديد، مهما كان الثمن الذي سيدفع في مقابل هـذا (دولة فلسطينية، وتخل عن الأرض، وإزالة المستوطنات.. الخ) فإنها تظل بشكل مستمر في حاجة إلى الشخصية القوية التي تختزن في داخلـها كل مقومات العدوانية والقسوة، لأنها هي الدرع الوحيد التي يثقون في قدرتها على الدفاع عن وجودهم، و من هنا كان التنازع الرهيب في النفسية الإسرائيلية بين الرغبة في السلام والخوف منه " [2]، و بين رغبة اليسار في حل وسط، ورغبة اليمين في مزيد من الحرب والقسوة، والعنف وهو ما عبر عنه عوز في تلك الرواية من خلال هذين الموقفين:

(1) موقف اليسار الإسرائيلي من السلام:

عبر عوز في هذه الرواية عن توجهات الفرد الإسرائيلي نحو السلام من خلال "فيما" الذي ظهر متمرداً على الواقع وعلى الدولة ومفاهيمها نحو السلام، وأرقه ما يجري في الأراضي المحتلة، وما يحدث داخل إسرائيل والمجتمع الإسرائيلي.

([1]) انظر: د. محمد خليفة حسن: الوضع الأخلاقي للصهيونية، مرجع سابق (ص 63).

([2]) د. رشاد عبدالله اشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص 146).

هذا البطل يقول فى نهاية الرواية لأبطال الفيلم الذى يشاهده فى السينما، وكأن كل ما يشاهده فى الواقع هو مشهد سينمائى: " إذا أردتم أن تستريحوا وتريحوا فليترك كل منكم الآخر فى حالـه، وكونوا خيرين. " [1] كما تكثر فى هذه الرواية تساؤلاته نحـو ماهية السلام، وكيف يحدث ؟ وعلى أية صورة يكون ؟ :

" رأى نفسه فى خيالـه وهو يجمع وزراءه فى جلسة لمجلس الوزراء المصغر فى منتصف الليل... وفى الفجر سوف يمرر قراراً بأغلبية الأصوات، يقضى بإخراج قواتنا فى المرحلة الأولى من قطاع غزة دون حتى اتفاقية " [2].

لقد اعتـاد "فيما" ، خلال هذه الرواية، تصوير نفسه على أنه المسئول الأول عن الدولة؛ لذلك كان يجمع مجلس وزراء من أصدقائه، ويعرض عليهم مقترحاته حول بعض الأمور التى تشغلـه. ونلاحظ هنا أن " فيما " يفكر فى السلام، ولكنه يخشى عواقبه. فهو يقترح الانسحاب من الأراضى مع وضع تصورات لما يمكن أن يحدث، فإذا حافظ الفلسطينيون على الـهدوء، وأثبتوا توجههم نحو السلام، فسوف ينتظر عامين حتى يطمئن إلى ذلك [•]، وهو ما يبين قلقه تجاه حقيقة السلام، فيتنازع مع نفسه حول الرغبة فيه أو الخوف منه. فهو يرى أن الدولة تبدد فرص السلام السانحة أمـامها، ويصف زعماءها بالعصابة:

" ... وانتهى إلى أن هذه الدولة وقعت فى أيدى عصابة من المختلين، يندفعون مراراً وتكراراً نحو تدمير وفقد كل أمل فى السلام، لأن السلام يبدو لـهم كخدعة نازية تضمر إبادتهم•[••]" [3].

وهكذا، يرى "فيما" أن الدولة وقعت فى أيدى عصابة تخشى السلام، على الرغم من أن بعضهم ينشده؛ وذلك لأن الماضى يرفرف أمامهم، وأحداث النازى عالقة فى أذهانهم، فهم يخشون من ألا يحقق لـهم السلام الأمن المنشود.

(□) أحمد عمر شاهين: الرواية الإسرائيلية المعاصرة، مجلة إبداع، العدد الثانى فبراير 1995، ص(15).

(□) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص13).

(•) يذكرنا هذا بموقف رئيس الوزراء الإسرائيلى شارون من الفلسطينيين عام 2002 ومطالبته لـهم بأن يكفوا عن المقاومة وعما يسميه بأعمال العنف، ثم بعد ذلك يتم التفاوض إذا ما رأى أنه يمكن أن يعطى للفلسطينيين ما يسميه تنازلات.

(••) مازالت عقدة النازية سمة قابعة فى النفس اليهودية ولا مناص منها عند الإقدام على فعل شىء، وهى سمة علق عليها علماء النفس بقولـهم، إنها تزيد الموقف تعقيداً، أى موقف، حيث تتشابك حلقاته وتتداخل الأسباب بالنتائج ويمتزج الفعل برد الفعل بحيث يصبح الأمر فى نهاية المطاف وقد غدا من الصعب معرفة أيهما أعمق جذوراً، وأشد تأثيراً، تعالى اليهود وعزلتهم، أم اضطهاد الآخرين.

(□) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص13).

ويرى "فيما أنه حان الوقت لوضع حد لدائرة الدماء، وفتح صفحة جديدة؛ لأن ذلك هو السبيل الوحيد للسلام:

" ومع ذلك سوف يقترح من الآن وضع حد لدائرة الدماء، والبدء معاً فى بناء مستقبل، يتسم بالحكمة، من خلال الحل الوسط والمصالحة، والشرط الوحيد للبدء فى المفـــاوضات ســـوف يكون التوقف النهاى عن أعمال العنف من كلا الطرفين. "[1].

وإذا لم تمتثل الدولة لمطالب الشعب فى الـــسلام فإن (الثورة)هى الحل الوحيد فى رأى "فيما":

"ومن الآن سيسمى مجلس الوزراء المصغر بمجلس الثورة. وستتم العملية الانقلابية خلال ستة أشهر. وحينئذ، سوف يكون هناك سلام، بعدها نعود جميعاً كل منا على الفور إلى شئونه، ولن نواصل التدخل مرة أخرى فى شئون السلطة المنتخبة. "[2].

ولعل ذلك يشير إلى أن هناك جزءاً من الشعب الإسرائيلى بمختلف طوائفه يرغب فى السلام، وينتمى إلى حركات تدعو إليه، وتعبر عن متطلباته مثل حركة " السلام الآن"، وهى إحدى الحركات التى تنظر إلى السلام على أنه أمر حيوى لابد أن ينطوى على حل يرضى جميع الأطراف. . وهذا ما يفكر فيه "فيما" ":

"من الممكن أيضاً أن أنضم إلى أحد الأحزاب الحالية. . . وأضفى ضوءاً جديداً على الوضع القومى، حتى تتحرك تلك القلوب الصلدة للغاية. وهكذا، نصل إلى الدفة التى ستقودنا إلى إقرار السلام فى البلاد"[3].

وتبقى الحرب دائماً وفقد الأموات وزيادة عدد الثكلى، وموت الأبناء هى بمثابة جرس إنذار، قد يدفع الفرد الإسرائيلى للتفكير فى السلام، على الرغم من التشكك فى جدواه، فتقول "شنيد مان" إحدى شخصيات هذه الرواية فى حديث لـها مع "فيما":

"فليأت السلام فحسب لدولتنا الغالية، لأنه من الصعب علينا أن نعانى بسبب الذين يموتون طوال الوقت"[4].

وهكذا، " بدأ الإحساس بالدوران فى الحلقة المفرغة من الحروب، والسأم من كابوس الحروب المتعاقبة، والتشكك فى جدواها يعم الكثيرين، وبدأت تتسرب المشاعر والانطباعات التى تعبر عن مناخ الرفض لاستمرار أهوال الحرب، والتمرد على الموت بلا

---

(1) نفس المرجع، (ص70).
(2) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق (ص70).
(3)، نفس المرجع، (ص73ـ74).
(4) نفس المرجع، (ص159).

ثمن، والافتقار إلى الأمل فى حياة هادئة فى المستقبل، ورفض التوالد يأساً من المستقبل، ورفضاً لأن يكون الأبناء وقوداً لمزيد من الحروب. وقد شهدت فترة حرب الاستنزاف مجموعة من ردود الفعل العارمة التى اجتاحت قطاعاً عريضاً من المجتمع الإسرائيلى، مطالبة بوضع حد لـهذه الحروب، وبالسعى إلى السلام بأى ثمن مع العرب، ولو على حساب التخلى عن الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى حرب يونيو 1967 " [1].

وهكذا أيضاً، يظل (الفرد الإسرائيلى)متأرجحاً ما بين الرغبة فى السلام الذى يتطلب التنازل عن الأرض وبين الخوف منه، لكن التنازل يجب أن يكون مبنياً على الثقة، والفرد الإســـرائيلى غالباً ما يتشكك فى الطرف الآخر (العرب)، والسلام لن يتحقق إلا بإعادة الأراضى المسلوبة، وهو ما يدركه جيداً؛ لذلك فهو يتردد تجاه السلام أحياناً، ويقع فى تناقض رهيب مابين الرغبة فيه والخوف منه ما دام ذلك سيقابلـه التنازل عن الأرض:

" هناك معنى، حينئذ، لأن نحاول صياغة ميثاق يحدد بالضبط أين حدود استعدادنا المعتدلة الخاصة بنا من أجل تقديم تنازلات للعرب " [2].

(2)موقف اليمين الصهيونى الإسرائيلى من السلام:

عبر عوز أيضاً عن موقف اليمين الصهيونى من السلام، وهو موقف تبنى المبادئ غير الأخلاقية للصهيونية فى استخدام القسوة والعنف وترويع الفلسطينيين، لاسيما وقد حسم بعضهم موقفه، وحدد أطراً عديدة لمفهوم السلام الذى يحلم به، بدونها لا يرضى به. وبعضهم الآخر رفضه تماماً؛ أملاً فى أن القوة ستحقق لـهم الأمن، فهم يرون أن العرب لا يريدون السلام، بل يريدون إبادتهم وتدميرهم. فيقول الأب لـ "فيما" فى هذه الرواية:

" . إنهم يريدون ذبحنا. إن كل ما يريدونه هو إبادتنا " . [3].

كما أن فكرة الحل الوسط غير واردة، عند بعض الإسرائيليين، على الإطلاق. فالحل الوسط يمكن أن يكون مع أى أحد إلا العرب:

"حل وسط، بالطبع، هذا أجمل ما قلت. فالحل الوسط أمر ممتاز لا يوجد لـه مثيل. فالحـــياة كلـها قائمة على الحل الوسط. . لكن مع مـــن تصنع حلا وسطا ؟ مع الذين يطلبون دماءنا، ومع الذين يتطلعون فقط إلى إبادتنا ؟ " [4].

وهكذا، يرفض الأب السلام، ويحدد رأيه فيه بحسم، ويرى أن هناك انعداماً للثقة فى الطرف الآخر الذى لا يريد السلام، وإنما يريد فقط إبادتهم وذبحهم. وهذا الحسم نجده أيضاً لدى أحد السائقين فى حديثه مع "فيما":

---

(1) د. رشاد عبد اللـه الشامى: إشكالية الـهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص 182).
(2) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص196).
(3) نفس المرجع، (ص64).
(4) نفس المرجع(ص64).

"لنقتلـهم فهم مازالوا صغاراً. ولا نسمح لـهم برفع رءوسهم، فلنجعلـهم يلعنون ذلك اليوم الذى فقدوا صوابهم فيه معنا. . . وعند خروجه من التاكسى سأل "فيما" السائق: حينئذ، ماذا سيحدث ؟ وإلى متى فى رأيك سوف نستمر فى قتل كل منا للآخر ؟ فقال السائق: حتى مائة عام. هكذا حدث أيضاً فى عصـــر التوراة. لم يـكن هناك ثمـة سلام بين اليهود وغير اليهود" . (1)

وهناك من رأى أن السلام دون ضمانات كافية، مثل الأمن الشامل، لن يصبح سلاماً. وربما ينطبق هذا الموقف على رؤية اليمين الإسرائيلى للسلام، حسبما كانت مطروحة فى الانتخابات الإسرائيلية فى مايو 2001 :

"إننى من أجل السلام الحقيقى، الذى يقولون عنه، مع الأمن والالتزام وكل الضمانات والأمن الشامل" (2).

وهناك من حسم الموقف من منطلق القوة والتشكك فى مؤتمرات السلام، ودعا إلى التريث وعدم الاستعجال حتى يكون هناك ردع إسرائيلـــى يحقق الأمـن :

"أوصى أحد الخبراء القدامى فى القانون الدولى الحكومة بعدم التسرع فى الجرى وراء مؤتمرات السلام المشكوك فيها؛ فعلينا أن ننتظر حتى يحدث على الأقل ردع إسرائيلى. وعلينا ألا نقترب، معاذ اللـه، من مائدة المفاوضات من خلال موقف ضعف واستعجال، بينما سيف الانتفاضة موجه إلى رقابنا. فالمفاوضات ربما تكون جادة فقط عندما يدرك العرب فى النهاية أن ليس لديهم أى أمل سياسى أو عسكرى، أو أى أمل، فيأتون للتوسل أمامنا وهم مستسلمون حتى نصنع معهم سلاماً" (3).

وهكذا، يمكن القول من خلال ما سبق، إن السلام أصبح أمراً شائكاً ومحيراً شأنه شأن المجتمع الإسرائيلى، اختلفت الرؤى والتوجهات نحو مفهومه. وهو أمر ربما يعود إلى طبيعة تكوين المجتمع الإسرائيلى؛ فهو مجتمع يضم بين عناصره أيديولوجيات عديدة، وطوائف شتى يصعب أن تتجه جميعها ناحية هدف واحد، لاسيما أن إسرائيل كدولة " تتكون من عدة أمم تتعدد فيها الأعراق والثقافات والاتجاهات الفكرية؛ فبالإضافة للبنية التقليدية للمجتمع الإسرائيلى من عناصر السفارديم والإشكيناز والصابرا والمهاجرين الجدد والعرب الفلسطينيين، تتزاحم داخل المجتمع الإسرائيلى وتتناحر الأيديولوجيات المختلفة، حيث ينقسم الإسرائيليون إلى يهود متشددين، وقوميين، ودينيين، وتقليديين، وعلمانيين وغيـــر

(1) نفس المرجع، (ص127).
(2) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، ، (ص183).
(3) نفس المرجع (ص231).

ذلــك مــن الفــئات؛ مــما أدى إلى تــشرذم المجتمع الإسرائيلى وتفتته إلى عدة ثقافات ولـهجات" [1] وهو ما جعل التعامل مع أى موقف، أو حتى مع السلام بالنسبة للمجتمع الإسرائيلى على اختلاف طوائفه واتجاهاته، يتم من خلال رؤى غير واضحة المعالم يملؤها التردد والشك. كما أن الأيديولوجية الصهيونية تدخلت فى صنع النفسية الإسرائيلية، وجعلت الفرد الإسرائيلى يتشكك حتى فى أهم متطلبات الحياة وهو الأمن والاستقرار. وأصبح الشك وعدم الثقة فى الطرف الآخر من أهم السمات التى فرضتها الأيديولوجية الصهيونية على الفرد الإسرائيلى منذ نشأته، لذلك فهو يفكر فى السلام لأنه يفتقد الأمن، لكنه سرعان ما يعود ويحيد عنه عندما يصطدم بفرضيات التوجه الصهيونى الذى يجرى فى دمه، حتى حركات السلام فى إسرائيل تضع فى حسبانها دقة المحاولة.

وعلاوة على ذلك، فإن " قضايا الأمن الإسرائيلي لدى حركات السلام لـها أهمية خاصة لا تختلف كثيراً عن سائر القوى الصهيونية اليمينية، وبخاصة في مسألة القـوة النووية الإسرائيلية، وسياسة الردع بالإضافة إلى أن معظمها يؤكد على مبدأ (القدس المـوحدة)، و(العاصـــمة الأبدية لإسرائيل)" [2]، لذلك حتى وإن كان هناك قطاع عريض من الشعب الإسرائيلي يفكر في السلام، فإن مفـهوم السلام لديه هو السلام المشروط الذي يضمن لـه الأمن، وعدم التعرض لخطر الإبادة، حتى وإن ضمن ذلك فيبقى حاجز عدم الثقة في الآخر أمراً مهم وضرورياً، يتراجع من خلالـه عن رغبته في السلام؛ ليعيش في تناقض غريب ما بين الرغبة في السلام والخوف منه من ناحية، وبين الرغبة في السلام مع الاحتفاظ بالأراضي العربية والفلسطينية من ناحية أخرى..

رابعاً: أثر تعاليم العنف الصهيونية فى نفسية الأطفال:

" مما لا شك فيه أن تحولاً جذرياً طرأ على اليهود بعد تعرضهم للإبادة والتشريد. فتاريخهم قبل عصر التوراة وبعده تاريخ دموى ملئ بالغزو و العدوان، وتغلب عليه صفة الشراسة و العنف. فقد تحول اليهودى فجأة إلى شخصية مستضعفة خانعة، تحقق أغراضها بالـوسائل النائمة الملتوية وبالمكر والخديعة ... و فى العصر الحديث حاول المفكرون الصهاينة، المتأثرون فى منهجهم الفكرى بآراء داروين فى تطور الطبيعة، تطبيق هذا المنهج على التطور التاريخى والاجتماعى لليهود شأنهم فى ذلك شأن النازية. و قد فسر البعض تيه اليهودى فى الصحراء على أنه تطبيق ربانى لنظرية الاختيار الطبيعى، و بالتالى يصبح التيه محاولة من جانب الرب للقضاء على الضعيف منهم حتى لا يدخل أرض كنعان سوى

([1]) د. محمد خليفة حسن: الشخصية الإسرائيلية واتجاهاتها نحو السلام، مرجع سابق، صحيفة الأهرام.
([2]) د. رشاد عبد الله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص 198).

الأصحاء منهم وليس عقاباً. وكان هناك من بين المفكرين الصهاينة من حاول تفسير التيه فى الصحراء على أنه كان مرحلة إعداد روحى لبنى إسرائيل قبل دخول أرض كنعان" (1).

وهكذا تحول هؤلاء اليهود الذين كانوا عبيداً فى مصر إلى غزاة محتلين لأرض كنعان، وفى العصر الحديث تحول جموع اليهود إلىغزاة محتلين لأرض فلسطين، و قد سبق هذا مجهود ضخم من قبل المفكرين الصهيونيين؛ لإعداد شخصية عنيفة قوية تستطيع أن تقوم بمهمة الغزو والقتل وتفريغ الأرض من سكانها الأصليين من ناحية، و محاولة طى ذكرى أحداث النازى، وذكرى اليهودى الجيتوى من ناحية أخرى.

إن صفات مثل العنف والقسوة التى تتسم بها الشخصية الإسرائيلية الصهيونية على أثر تعاليم صهيونية طويلة المدى تبدأ منذ الصغر و حتى مرحلة البلوغ " توضح لنا دائماً أن الإنسان الإسرائيلى، بل المجتمع الإسرائيلى اتخذ من (النازى)مثلاً أعلى لـه، و هو الأمر الذى يعطى لـه علم النفس التفسير المقبول: إذا ما تعرض الفرد لعدوان لا قبل لـه بمواجهته وأصبحت الـهزيمة خطراً يهدد اتزانه النفسى، فإنه كثيراً ما يلجأ إلى اتخاذ مصادر العدوان نماذج لـه يقتدى بها، ومثلاً عليا يسير على هديها حفاظاً على اتزانه النفسى " (2). وهو ما يسمى أيضاً فى علم النفس بالتوحد فى المتعدى.

ومن منطق هذا، " كانت الشخصية الإسرائيلية كثيراً ما تظهر بمظهر استفزازى تدعو إلى استعمال العنف والقـسـوة؛ والعنف قوة جنـونية إذا أفلتت وجمحت لا يدرى أحد كيف تنتهى " (3).

ومن هنا يمكن القول، إن أحداث النازى وصورة اليهودى الجيتوى مثلت كابوساً مخيفاً للقادة الصهيونيين؛ لذا فقد ثبتت عبادة القسوة و الروح العدوانية فى الفكر الصهيونى، وحاول هؤلاء الصهيونيون زرع روح هذه العبادة بين الشباب الإسرائيليين منذ الصغر؛ دون اهتمام بأثر هذه التعاليم فى النفسية الإنسانية. ويقول الكاتب عاموس إيلون موضحاً هذا الأمر: " لقد نما نوع من القسوة الإسبرطية على مر السنين، و أصبحت تميز الآن أقساماً كبيرة من الإسرائيليين الراشدين. وهذه القسوة الإسبرطية الوحشية، تبدأ منذ سنوات مبكرة فى حياة الفتى الإسرائيلى من خلال تدريبات (الجدناع •). إن التلاميذ يساقون فى رحلات طويلة فى الصحراء و يصابون بضربة الشمس، و أحياناً يموتون أو

---

(1) د. رشاد عبداللـه الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص 139،140)

(2) د. قدرى حفنى: تجسيد الوهم، ص 90 (نقلاً عن د. رشاد عبداللـه الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص 145).

(3) د. حسن ظاظا: الشخصية الإسرائيلية، دار القلم للنشر، ط2، 1990، (ص 89).

(•) الجدناع: هى اختصار الكلمات العبرية "جدودي هانوعار " (كتائب الشباب). وتعد منظمة عسكرية للشباب ما قبل الثامنة عشرة، أى ما قبل دخول الجيش. وفيها يتدرب الشباب الصغار على استعمال الأسلحة والعمل متطوعين فى المستوطنات اليهودية المختلفة.

يسقطون فى أثناء التدريبات التى تجعلـهم أصلب عوداً، و التى تعودهم على قمع رغبتهم والقضاء على الخوف، و تبدأ هذه التدريبات من سن الثانية عشرة والثالثة عشرة، فيرسل الغلمان إلى العراء فى ليالى الشتاء الباردة، و يجبرون على السير حفاة على الشاطئ المبلل، وتجبر الفتيات فى سن الرابعة عشرة على دخول مقابر المسلمين فى الليالى المظـلمة، واستجماع الشجاعة والرقاد على القبور " (1).

و قد عبر عوز عن الأثر النفسى السيئ لتلك التعاليم الصهيونية فى نفسية الأطفال قبل بلوغهم سن الرشد من خلال شخصية ''ديمى'' ابن ''ياعيل'' و''تيد''، الذى يبلغ من العمر عشر سنوات. لقد تصارعت قوى اليمين الصهيونية فى الرواية على الاهتمام به؛ ليصبح شخصية صبارية قوية وعنيفة. " فأبواه ''ياعيل'' و ''تيد'' المنغمسان فى المشروع الأمنى يتجهان إلى تربيته وتدريبه؛ ليسير على دربهم؛ وليواصل نفس الطريق؛ ويهتم بالموضوعات ذات (الأهمية القومية)ولعل الألعاب الإلكترونية التى امتلأت بها حجرته تشير إلى ذلك. وفى دهشة و تعجب يقبلان ''باروخ'' اليمينى كجد لـ''ديمى'' " (2).

كان ''باروخ'' اليمينى الصهيونى يقوم بدوره القومى كجد لكل طفل و لكل شىء واستمر فى علاقته بـ ''ياعيل'' حتى بعد طلاقها من ابنه ''فيما'' ؛ فالعلاقة القومية لديه أقوى من العلاقة الشخصية، فكان يقضى مع ابنها ''ديمى'' أوقاتاً طويلة، علمه خلالـها العنف والقسوة:

" ظل الجد مع الطفل بمفردهما فى المعمل، وأخذ يعلمه كيف يستخدمون الأستون أيضاً فى صناعة المواد المتفجرة " (3).

وهكذا، وقع هذا الطفل وهو فى سن العاشرة تحت تأثير التعاليم الصهيونية لأبويه و '' باروخ'' ، حيث كانت هذه المرحلة التعليمية هى مقدمة لما سيحدث لذلك الطفل من اكتئاب نفسى، وهو ما أدى إلى تطلعه للـهروب من هذا الواقع المعيب، الذى سمم نفسيته، كما ذكر عوز على لسان ''فيما'' عندما نهر أباه ''باروخ'' وهو يعلم ''ديمى'' صناعة المواد المتفجرة:

" غلى "فيما" من الغيظ، وانقض على أبيه فى حماس قائلاً: لماذا تفسد هذا الطفل ؟ فلدينا عدد كاف من القتلة، لماذا تسمم نفسيته ؟ " (4).

---

(1) انظر: عاموس ايلون: الإسرائيليون، المؤسسون والأبناء ص 236 (نقلاً عن د. رشاد عبدالله الشامى، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص 200)

(2) يوسف أورن: "هاعيط كشوفار بوليطى، عيسر ماسوت عل هارومان هابوليطى باسيبورت هايسرائيليت "، مرجع سابق، (ص30).

(3) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص71).

(4) نفس المرجع، (ص71).

وبالفعل، لم تكن تعاليم العنف الصهيونية إلا سما يفسد نفسية هؤلاء الأطفال وهم فى سن مبكرة، أشار إليه عوز فى قصة "ديمى" مع الكلب [1] :

وجد "فيما" ذلك الطفل فى حالة إعياء شديدة، لقد كان "ديمى" فى حالة نفسية سيئة، متجهم الوجه وحزينا. فأخذ يتحدث إليه محاولاً أن يعرف ماذا حدث لـه ؟ و بعد محايلات من قبل "فيما" بدأ "ديمى" يحكى قصته بصوت متقطع: لقد وجد هو وأصدقاؤه الأطفال كلباً يعبث بين صفائح القمامة، فاتفقوا على قتلـه. فجاءوا به وأوثقوه بالحبال، وأقاموا لـه مذبحاً بهدف ذبحه بالسكين. وكان الكلب مع كل هذا يظن أنهم يلـهون معه؛ فخضع لـهم، وتركهم يفعلون به ما يشاءون فى سعادة وغبطة، ثم أتى "ديمى" بالسكين وأخذها منه أحد أصدقائه، وهم ليذبح الكلب؛ فاهتزت يداه فجأة، وانكسرت يد السكين، وأصاب لعاب الكلب معظم هؤلاء الأطفال. وتكررت المحاولة عبثاً، فسال من الكلب دم غزير، ربما كان ذلك بسبب ورم كان يعانى منه الكلب. وفى تلك الأثناء نجح الكلب فى قضم الحبل الأمامى، فهرع أصدقاؤه ينيف وننجا ورونين ليهربوا؛ خوفاً من بطش الكلب بهم، وتركوا "ديمى" بمفرده الذى أخذ يجرى هو الآخر وراءهم، بينما هرب الكلب بين الأشجار و هو ينزف دماً. لقد فعلوا ذلك فقط (لأنه كلب عربى قذر). لقد تجمع "ديمى" وأصدقاؤه مرة أخرى، فدار شجار بينهم، حيث اتهمه أصدقاؤه بالسبب فيما حدث؛ لأن السكين التى أحضرها كانت غير صالحة، وصرخوا فى وجه صائحين (سوف تندلع هنا انتفاضة)بعد أن هرب الكـلب بين الحياة والموت. وعقدوا العزم على معاقبة "ديمى" بكل قسوة وعنف، فأوثقوه "ديمى" بالحبال بعد أن أخذوا منه نظارته السميكة فلم ير شيئاً، وأخذوا يركلونه بأرجلـهم، وهناك من تبول عليه، ثم تركوه موثوقاً بالحبال. بعدها شعر "ديمى" بالندم فى انسياقه وراءهم بعدما أصيب بهزة نفسية عميقة:

" إننـى طفل مهرج. لم يكن هذا بأمر صـحيح، فقد كان يجب أن أعارض هذا، ولا أنجر وراءهم " [2].

ولم يندب "ديمى" حظه جراء ما فعل فحسب، بل لعن والديه اللذين أتيا به إلى هذه الحياة، إنه يكرهما وهما اللذان علماه العنف والقسوة:

" إننى أكرهما على الرغم من أن ذلك حرام. من الذى أمرهما بأن ينجبانى ؟ ... لا يوجد ما أفعلـه فى هذه الحياة مطلقاً ... فكل شىء ينتهى هنا إلى أسـوأ. وكل شىء عبارة عن غضب ومشكلات. إن كل ما أفعلـه ليس سوى الغضب والمشكلات " [3].

---

(1) نفس المرجع، (ص116: 120).
(2) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص119).
(3) نفس المرجع، (ص120).

وهكذا، لم تضع الصهيونية فى حسبانها، مدى تأثير زرع العنف لدى تلك البراعم الصغيرة، فها هو "ديمى" لم يتخط العاشرة بعد، نجده يلعن أبويه ويكرهما بعد تلك الحادثة التى تعرض لـها مع أصدقائه الذين اتسموا بالعنف أيضاً، فلم تجن تلك النشأة سوى نفسية طفل ممزقة كره الحياة ومن فيها، حتى أقرب الناس إليه. ولم تدرك الصهيونية أنها تدس السموم وتضعها بغزارة فى نفسية هؤلاء الصغار، كما حاول أن يبين لنا عوز، على لسان " فيما " الذى كانت تقلقه تلك العلاقة التى جمعت بين أبيه "باروخ" والطفل "ديمى" :

" لقد سممنا بالفعل "ديمى" و أصدقائه " [1].

و مما لا شك فيه أن هذه الحادثة التى تعرض لـها "ديمى" ـ حادثة الكلب ـ تشير أيضاً إلى عدة حقائق، ربما حاول عوز أن يظهرها لنا فى معرض نقده للصهيونية، وهى:

(1) أن زراعة العنف فى نفسية الأطفال الصغار لم تخلق سوى شباب غير متزن، يتسم بالعنف والقسوة، وإذا كان الـهدف هو كراهية الطرف الآخر فى الصراع والتعامل معه بمنتـهى العنف، فقد انعكست هذه الكراهية على المجتمع الذى يعيش فيه هؤلاء الأطفال، مثلما فعل "ديمى" مع أبويه.

(2) " أن استخدام بعض التعبيرات فى هذه الحادثة لم يأت عفوياً من قبل عوز، فعندما يحاول "ديمى" أن يهرب فيحاصره أصدقاؤه ببعض التعبيرات التى تستخدم فى الأحداث السياسية بين الكبار مثل (كفى أن تكون مرهف الإحساس). ويأتى تفسير " فيما" بوضوح للمعنى السياسى لما فعلـه الأطفال بالكلب: لقد بدا فى عينيه رعب يأتى (كنتيجة مباشرة لما يحدث فى المناطق المحتلة) " [2].

(3)دائماً ما تصيب الانتفاضة الفلسطينية جموع الشعب الإسرائيلى بحالة من الفزع والرعب. فإذا كان هذا الكلب الذى حاول ذبحه هؤلاء الأطفال هو" كلب عربى متعفن " (الرواية، ص 117)، فبالطبع " سوف تندلع هنا انتفاضة" (الرواية، ص 118). غير أن تشويه صورة العرب ليس بالأمر الجديد فى الأدب العبرى الإسرائيلى.

(4)يحذر عوز من الإمعان فى تلك التعاليم الصهيونية لدى الأطفال، فالأطفال هم البوصلة التى تحدد الحالة الأخلاقية للمجتمع، وهو ما يؤكد عليه يوسف أورن قائلاً: " لقد تعلمنا من رواية (نبى)1988 لشولاميت هارئيفن أن من يريد أن يدرك أو يفهم الحالة

([1])عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص163).

([2])يوسف أورن: " هاعيط كشوفار بوليطى، عيسر ماسوت عل هارومان هابوليطى باسيبورت هايسرائيليت " ، مرجع سابق، (ص31).

الأخلاقية للمجتمع، فلينظر إلى تأثير أعمال الكبار على الصغار. فالألعاب التى يمارسها الأطفال فى القدس تشير إلى خوف ''فيما'' و فزعه من تأثير الاستمرار فى الاحتلال للمناطق الفلسطينية على الجيل القادم ... و على هذا فلم يكن صدفة أن تتحول أحـــلام ''فيما'' إلى كوابيس تمتلئ بأطفال قساة ووحشيين " (1).

وهكذا لم تجن الصهيونية من تعاليمها سوى حالة من القلق الوجودى فى عالم ملئ بالإثارة والعنف، فالأطفال الإسرائيليون لا يعيشون مثل سائر أطفال المجتمعات الأخرى، فقد ساقتهم الصهيونية للعيش فى عالم آخر ليس عالم الأطفال الأبرياء، فخلقت منهم شبابا مريضا كره المجتمع الذى يعيش فيه. وهى حالة يعلق عليها أورن قائلاً: " إننا منغمسون فى حالة لا مخرج لـها منذ أن تعلم الأطفال القتل، لأن الواقع ينشئهم قساة ووحشيين. لقد كان "فيما" قلقاً فى كل مرة يضاجع فيها امـــرأة؛ خشـــية أن تحبل وتلد طفلاً؛ فيصبح هكذا مثل سائر الأطفال " (2).

خامساً: فشل الصهيونية فى إعداد وريث لجيل المؤسسين:

كان إخفاق الصهيونية فى إعداد ورثة لجيل الآباء المؤسسين من الأمور التى اتفق عليها معظم الأدباء الإسرائيليين فى أعمالـهم الأدبية. و لم يكن عوز فى منأى عن هؤلاء الأدباء، فقد تطرق إلى هذه القضية و" أشار إلى فشل الأيديولوجية الصهيونية فى إعداد ورثة من الأجيال التى أعقبت جيل المؤسسين، لكى يواصلوا الـهدف بنفس الحماس والإخلاص فى روايتيه (راحة صحيحة)1982 و(صندوق أسود)1987 " . ويكمن هذا الفشل فى آباء الأسرة الذين أسسوا الضيعة الأسرية التى نمت وتحصنت؛ لتدل على هدف الصهيونية فى استخدام الميراث على مدار أجيال كثيرة، و لم تنجح نبوءات المؤسس بتحقيق ذلك فى الأجيال القادمة بعدما ظهر الوريث المستهدف، وهو غير جدير بهذا الميراث.

وتعد رواية (الحالة الثالثة)هى ثالث رواية يتناول فيها عوز مسألة الميراث لجيل المؤسسين لقد أكد فى الروايات الثلاث على عدم جدارة الوريث الشرعى بالميراث، وهو الأمر الذى يجعل المورّث يلجأ إلى التبنى فى محاولة للحفاظ على المشروع. "ففى روايتى (راحة صحيحة)، و(صندوق أسود)يقيم عوز دورة الميراث فى منتصف الستينيات ومنتصف السبعينيات، وفيهما يجد الأب المورّث أن الوريث الشرعى لـه غير جدير بالميراث. و دون خيار فهو يتبنى وريثاً آخر يتميز عن الوريث الشرعى بميزات تجعلـه قادراً على التنفيذ "

(1) نفس المرجع، (ص31).
(2) يوسف أورن: "هاعيط كشوفار بوليطى، عيسر ماسوت عل هارومان هابوليطى باسيبورت هايسرائيليت " ، مرجع سابق، (ص31).

(1). فها هو "يوليق" فى (راحة صحيحة)كان يستعد لأن يوّرث الكيبوتس الذى أسسه لوريث مثلـه أو من نوعه، من شأنه أن يواصـل المشروع بنفس الحماس والروح، ولأجل ذلك علم ابنه "يونى"، ولكن " يونى " يخيب آمالـه؛ فهو يفتقر إلى المميزات الروحية المطلوبة فى الوريث. وفى خضم يأسه، ولكى يحول دون انهيار المشروع يتبنى " يوليق " وريثاً ليس من صلبه؛ ليواصل الابن المتبنى عزريا مشروع المؤسسين مع الابن الشرعى " يونى ".

ويؤكد عوز أيضاً على هذا الفشل فى روايته (صندوق أسود)، التى ربما خصصت أحداثها بالكامل لمعالجة هذه القضية. وعلى غرار ما حدث من حل فى رواية (راحة صحيحة)يحدث كذلك فى تلك الرواية، حيث يخيب أمل فلوديا فى ابنه الكسندر الذى يكرس حياته فى تبديد الثروة التى أعدت من أجلـه، فيدير المحامى زقهيم الأمور فى حين يهتم الكسندر بأعمالـه الروحية.

" ولكن رواية (صندوق أسود)لم تشر فقط إلى دورة الميراث الأولى، بل تتجه باستمرار إلى وصف أحداث دورة الميراث الثانية بصورة موسعة، التى حدثت فى منتصف السبعينيات، وجاء دور الكسندر بعد عشر سنوات لاختيار وريث للضيعة الأسرية وشـجرة النسل. وتبدأ ايلانه فى إقناع الكسندر لتوريث كل شىء لابنها بوعز، إلا أن بوعز الوريث الشرعى يخـيب آمالـهما؛ حيث كان طائشاً أهوج منذ الطفولة ليصبح هو الأخر غير جديد بالميراث. فلم يبق أمام الكسندر سوى أن يفعل مثلما فعل يوليق فى رواية (راحة صحيحة)ويضم سومو إلى بوعز فى دورة الميراث الثانية " (2).

وعلى غرار ما حدث فى هاتين الروايتين لحل مشكلة الميراث، يؤكد عوز فى رواية (الحالة الثالثة)على ذلك الأسلوب فى حل مشكلة الوريث، فى أن يؤول الميراث إلى الابن غير الشرعى، أو يقتسم بين الاثنين، وهو ما فعلـه ''باروخ'' مع ابنه ''فيما'' الذى جعلـه يقتسم الميراث مع ''ديمى'' الذى تبناه بالرعاية والاهتمـام، وقسّم التركة فى وصيته بين الاثنين.

و يعلق يوسف أورن على هذا الحل الذى لجأ إليه ''باروخ'' قائلاً: " لقد تعرضنا من قبل إلى حرب الميراث بين اليمين واليسار، ولكن فى رواية (الحالة الثالثة)يقفز بنا عوز إلى عقد آخر، بعد الثمانينيات؛ ليحكى لنا عن النتائج المتنبأ بها حول جولة الميراث الثانية. فالموّرث هذه المرة هو رجل اليمين ''باروخ'' نومبرج، ظل ''فيما'' ابنه الشرعى بعيداً تماماً

(1)يوسف أورن: "هاعيط كشوفار بوليطى، عيسر ماسوت عل هارومان هابوليطى باسيبورت هايسرائيليت "، مرجع سابق، (ص33).

(2) يوسف أورن: " هاتسيونوت وهاتسباريوت بارومان هايسرائيلى " (الصهيونية والصبارية فى الرواية الإسرائيلية)، مرجع سابق (ص18).

عن الميراث فى نظر أبيه على الرغم من كل التعاليم التى حرص على تزويده بها لإعداده كوريث، و فعل مثل كل الآباء المورثين، وتبنى لـه وريثاً آخر، هو ''ديمى'' " (1).

وفى وصيته وزع " ''باروخ'' " ميراثه بين الاثنين:

" فيما عدا الملك الواقع فى شارع رينس بتل أبيب ... فكل أملاكى تكون لابنى الوحيد أفرايم نومبرج نيسان ... من الملحق الخاص بالوصية اتضح أن الملك الواقع فى شارع رينس بتل أبيب، الذى لم يعرف به "فيما" أبداً، هو عمارة صغيرة أوصى الجد أن تكون من نصيب (حفيدى الحبيب ابن تيدور وياعيل توبياس)" (2).

وهكذا، قسم ''باروخ'' فى وصـــيته التركة بين أفرايم نيسان (فيما)و''ديمى''، ولكون ''ديمى'' لم يبلغ السن القانونية للميراث فقد عين أمه وصية عليه حتى يكبر.

وهكذا " تنتهى دورة الميراث الثانية كسابقيها فى تصوير الواقع السياسى كما هو: فيجب على ''فيما'' أن يتغير، كما يجب على ''ديمى'' أن ينضج. فإذا لم يستطع ''فيما'' أن ينفذ وجهات نظره اليسارية، فيجب الانتظار حتى ينضج الوريث المتبنى ''ديمى''، فوحشيته ستكون أمراً موثوقاً فيه " (3).

ومن الناحية السياسية أيضاً فإن تقسيم الميراث بين اليمين واليسار يعد حلاً تكافلياً، لجأ إليه عوز فى إشارة إلى حكومات الوحدة الوطنية التى تجمع بين اليمين واليسار، وهو حل غير مفيد، حيث سيظل الصراع بين المعسكرين قائماً، وإن نجح هذا الحل فى تجميده، فإنه لم ينجح فى وضع نهاية لـه.

وعلى الرغم من قرار تقسيم الميراث بين ''فيما'' و ''ديمى'' الذى اتخذه ''باروخ'' فإن الاثنين كانا فى منأى عن الـهدف والحلم؛ فلم تعجبهما أسلوب الحياة الروتينية، تلك الحياة التى تخضع للبرمجة والتوجيه من قبل آباء لم يكن شغلـهم الشاغل إلا المحافظة على مشروعهم الصهيونى، متناسين تماماً الحياة الشخصية للأبناء؛ فصادروا حرياتهم خوفاً من المستقبل، ولم يجنوا إلا الفشل والإحباط. فضـلاً عن التسبب فى وضع نفسى سيئ لـهؤلاء الأبناء والأحفاد.

كما يمكن القول أيضاً، إن ''باروخ'' قد لجأ لحل تقسيم الميراث، بعد أن تأكد من فشل حلمه الذى كان يحلم به طوال حياته، وهو حلم الوريث الشرعى الذى سيحمل الراية من بعده ليظل مشروع المؤسسين باقياً:

---

(1) نفس المرجع، (ص34).

(2) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص254).

(3) يوسف أورن: " هاعيط كشوفار بوليطى، عيسر ماسوت عل هارومان هابوليطى باسيبورت هايسرائيليت"، مرجع سابق، (ص34).

" ربما كانت هى الأقرب منا إلى ذلك الشيء الذى لم يتوقف "باروخ" طوال حياته عن الحلم بأن "فيما" سوف يحققه " [1].

ولكن "فيما" الذى اهتم به والداه منذ الصغر، لم يكن على مستوى هذا الحلم، لقد قرر فى نهاية الرواية الابتعاد نهائياً عن الساحة السياسية، بعد أن ظل طوال حياته، يجادل، ويشجب ويحتج ضد ما يحدث فى المناطق المحتلة ولكن دون جدوى:

" فى الحقيقة من الأفضل ألا أكتب شيئاً. و أن أبتعد تماماً من اليوم ودائماً عن الصحف والراديو والتليفزيون " [2].

" لقد حاولوا مراراً و تكراراً أن يتبادلوا معه الآراء السياسية، لكن " فيما" رفض الاشتراك فى ذلك " [3].

لقد ترك "فيما " الساحة للجميع متخذاً قراراً بألا يعود إلى تلك الحياة الرتيبة اليائسة، حتى إنه ترك أصدقاؤه ليلة موت أبيه فى شقته، وذهب إلى السينما؛ لكى يتساءل فى نهاية الرواية عن سبب تلك الآلام التى يعانى منها أبطال الفيلم:

" أخذ يحملق فى الشاشة، ويسأل نفسه؛ لماذا ولأجل من، لم تتوقف شخصيات الفيلم عن التسبب فى كل أنواع الآلام وجرح المشاعر لبعضها بعضا " [4].

أما "ديمى" شريك "فيما" فى الميراث، وهو الابن غير الشرعى الذى تبناه "باروخ" فلم يكن هو الأخر مهيأ لمثل هذه المهمة؛ بفعل الوضع النفسى السيئ بعد حادثة الكلب. لقد ظن "باروخ" الذى اهتم به ورعاه أن تربيته على العنف والقسوة هما السبيل الوحيد لتحمل مشاق هذه المهمة ولم يدرك خطأ هذه التربية والنشأة، إلا بعد أن تأكد من فشل هذا الطفل فى حمل الراية، لينضم إلى "فيما" وليؤكد الاثنان معاً على فشل "باروخ" والصهيونية فى إعداد ورثة لجيل المؤسسين، و كان مكمن هذا الفشل هو أسلوب الصهيونية فى تربية النشء. و مع كل هذا، فلم يتبدد الحلم لدى "باروخ" ، فعلى الرغم من عدم سعادته بالوريث المتبنى، فإنه يصر على عدم اعترافه بالفشل.

" إنه لم يكن سعيداً بصورة مطلقة بوريثه المتبنى "ديمى" حيث يقول لـ"فيما" : إنه مثلك أيضاً ولكن عمره هو أفضل ما لديه. فمن الممكن أن نتوقع من طفل ذى عشرة ربيعاً أن يصبح ذئباً حتى الثمالة " [□].

([1]) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص248).
([2]) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص226).
([3]) نفس المرجع، (ص259).
([4]) نفس المرجع (ص259).
([□]) يوسف أورن: " هاعيط كشوفار بوليطى، عيسر ماسوت عل هارومان هابوليطى باسيبورت هايسرائيليت "، مرجع سابق، (ص34).

ولكن عوز يؤكد لنا فى نهاية الرواية على فشل ''باروخ'' فى تحقيق حلمه، فقد صار "ديمى‌ط طفلاً بائساً، وفى وضع نفسى سيئ:

" و أضاف قائلاً، إن "ديمى" أغلق على نفسه الحجرة، فكانوا فى حاجة إلى استشارة عبر التليفون من صديق لـهم من جنوب أفريقيا متخصص فى علم نفس الأطفال " [1].

وقد دفع هذا الوضع النفسى السيئ ''ديمى'' إلى الاستنجاد بـ ''فيما'' ؛ فطلب منه أن يأخذه بعيداً عن الواقع الذى يعيش فيه، ذلك الواقع الذى أهدر طفولته:

" ألم ترد أن نعيش معاً فى جزر جالافاجوس، ونبنى لنا كوخاً هناك ؟ ونصطاد سمكا وأصدافا ؟ و نطارد الظباء التى تعيش ألف سنة ؟ ... ففى هذه الجزر لا يوجد شتاء بل ربيع أبدى " [2].

وهكذا يرفض ''ديمى'' العيش فى هذه البلاد التى تمتلئ بالوحشية والبلاهة، فبعد أن استصرخ والديه اللذين أنجباه فى مثل هذا العالم، كما رأينا من قبل، يطلب من ''فيما'' أن يذهب به إلى المحيط الـهادى. " إن الدولة التى تنتهج الوحشية فى مناطق محتلة هى فى نظر ''فيما'' بلاد شتوية يسكن بها من يصطاد الحيتان فقط، تماماً مثل ''ديمى'' الذى يفضل العيش فى دولة يسود بها ربيع أبدى مثل جزر جالافاجوس فى المحيط الـهادى " [□].

كما أن التقاء وجهات النظر بين الوريثين المرشحين لم يكن بالأمر الغريب؛ فقد نبع ذلك من التشابه بين طفولتهما. فإذا كان ''ديمى'' يبلغ من العمر عشر سنوات فإن ''فيما'' صار يتيماً وهو فى العاشرة بعد موت أمه، وخضع لتعليم يمينى من قبل أبيه مثلما خضع ''ديمى'' لنفس التعاليم من قبل أبويه، و''باروخ'' الجد. كما تجدر الإشارة إلى أن ''فيما'' وهو يبلغ من العمر 54عاماً كان حريصاً على إنقاذ هذا الطفل من الوقوع فى دائرة السياسة الشيطانية التى تجرع كأسها طوال حياته منذ أن كان صغيراً، فاهتم به ورعاه، فكان يذهب إليه دائماً رغماً عن والديه. ويستجيب ''ديمى'' لـهذا الإنقاذ، ويلتقى مع ''فيما'' فى ضرورة نبذ هذا الواقع و يطلب منه الرحيل.

و فى حقيقة الأمر، فقد رحل الاثنان فى نهاية الرواية عن ذلك الواقع فى محاولة للبحث عن الذات؛ فها هو ''فيما'' يهجر الجدال العقيم مع اليمين الصهيونى؛ لكى يتوحد مع ذاته، وينفصل عن ذلك الصراع عديم الفائدة فى محاولة منه ليسعد بحياته، و قد وصل إلى

(□) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص244).
(□)عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص121).
(□)يوسف أورن: " هاعيط كشوفار بوليطى، عيسر ماسوت عل هارومان هابوليطى باسيبورت هايسرائيليت " ، مرجع سابق، (ص32).

هذه المحطة بعد معاناة طويلة. أما "ديمى" فهو طفل صغير، يحلم مثل أى طفل صغير بحياة هادئة يعيش فيها طفولة بريئة بعيدة عن العنف والكراهية والقتل، فطلب الرحيل والعيش فى كوخ بجزر جالافاجوس فى المحيط الـهادى. لقد رحل الاثنان وبقيت قضية الوريث معلقة لأجل غير مسمى.

obeikandl.com